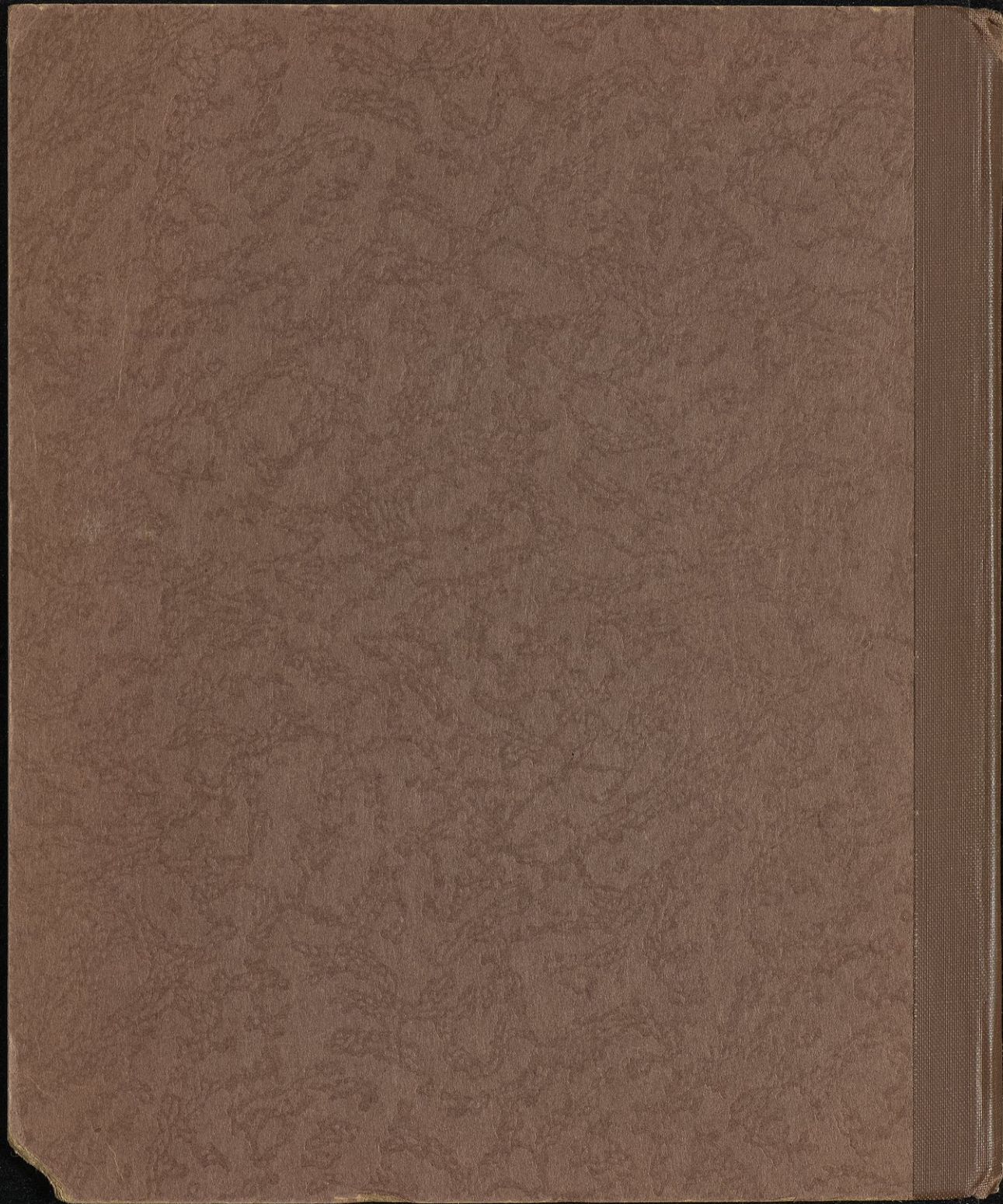




Gaylord

PAMPHLET BINDER

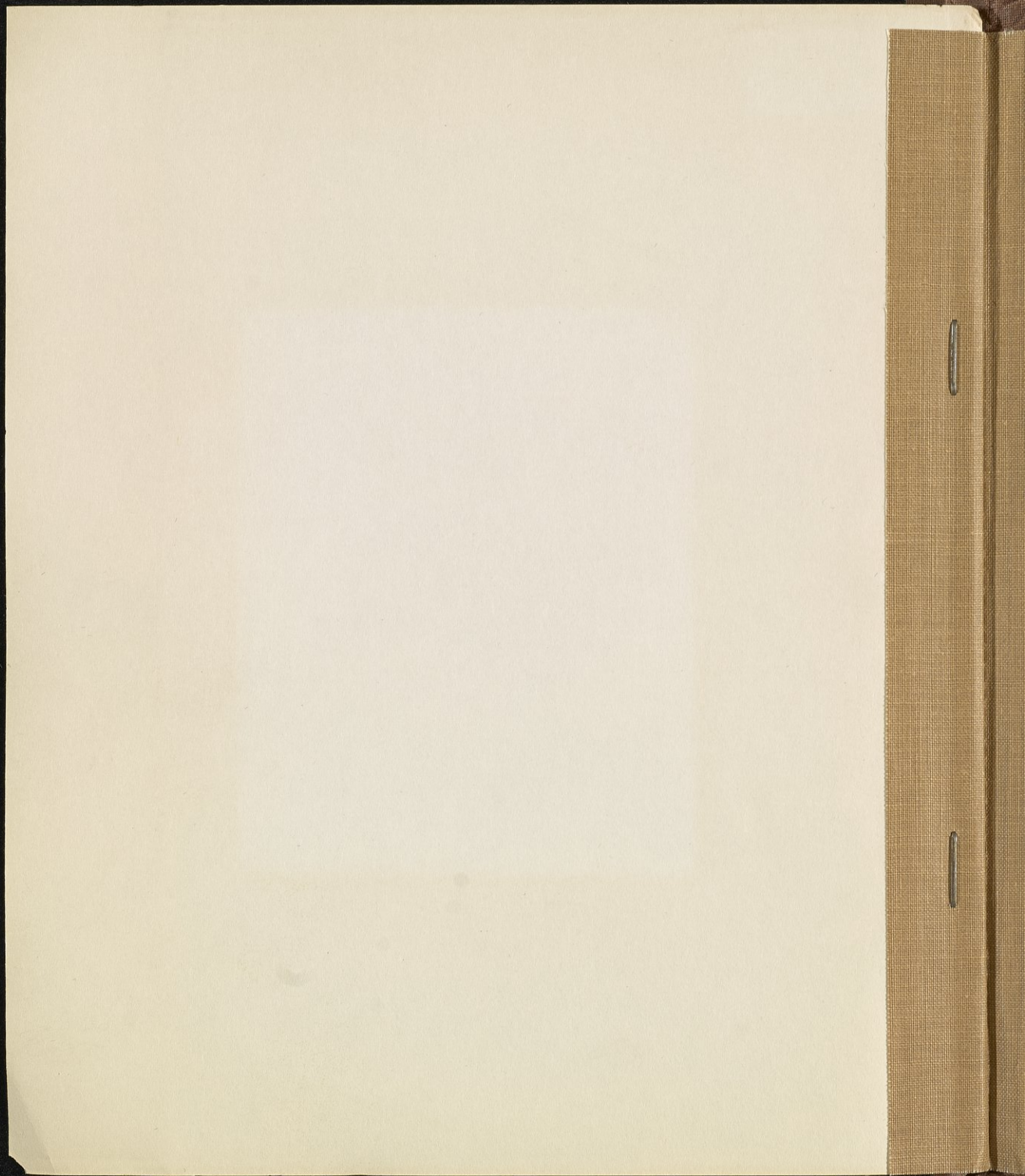
Syracuse, N. Y.

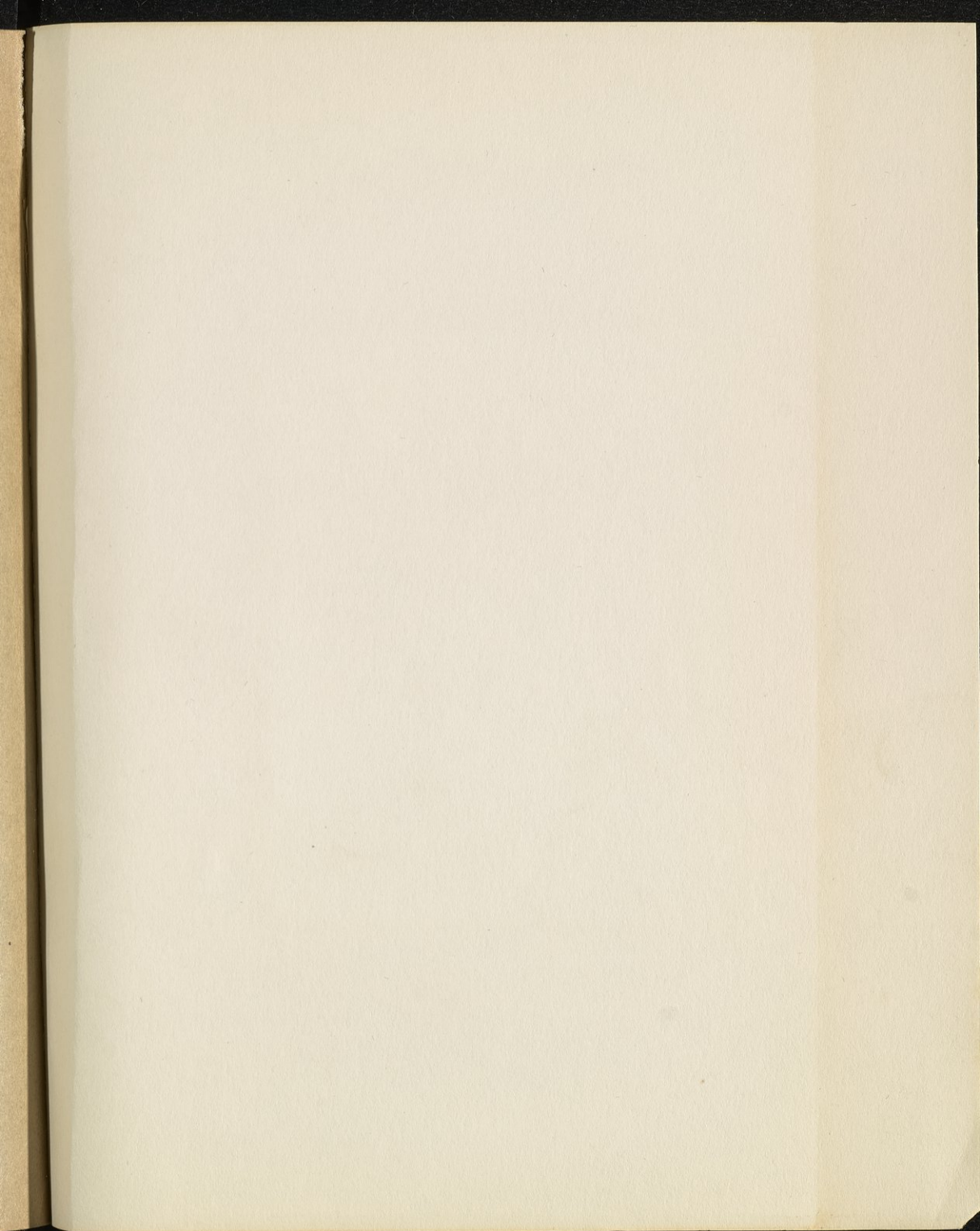
Stockton, Calif.

Columbia University
in the City of New York

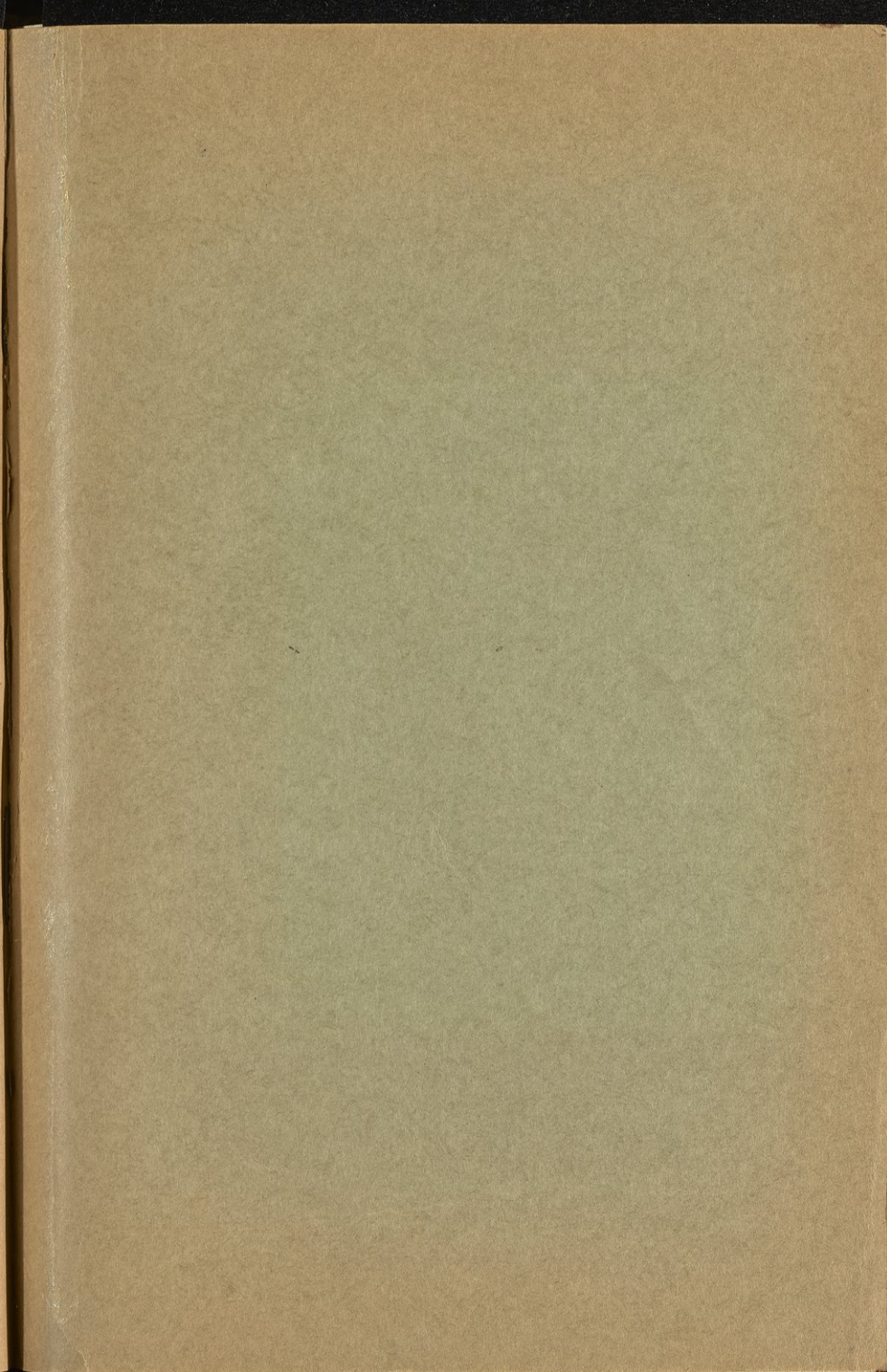
THE LIBRARIES







العقائد
للإمام الشيخ حسن البنا



العقائد

للإمام الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ

عنى بالتعليق عليها وتحقيق أصولها
رضوان محمد بن رضوان

القاهرة

مطبعة دار الكتب العربي

١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م

893.796

H273

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانَكَ ربِّي ! لا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا
أَتَذَكَّرُ عَلَى نَفْسِكَ . وَصَلَوَاتُكَ وَتَسْلِيمَاتُكَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ
وَرَسُولِكَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَجَاهِدِينَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِكَ ، الْمَثَابِينَ
عَلَى نَشْرِ شَرِيعَتِكَ .

وبعد فقد نشرت « جريدة الإخوان المسلمين »^(١)
فصولاً طريفةً شائعةً في العقائد الإسلامية ، لفضيلة الأستاذ
المجاهد المرحوم الشيخ موسى البنا ، رضى الله عنه ، أتخف
بها الأمة الإسلامية ، ولا غرو فهو ابنُ بجدتها ، وفارسُ
حلبتها . وإليك كلمته ، طيب الله ثراه ، التي صدر بها تلك
الفصول الغالية ، قال :

سنقصدُ في الكتابة على بحوث هذا الفن ، إن شاء
الله تعالى ، إلى أمرين أساسيين .

(١) « جريدة الإخوان المسلمين » مجلة أسبوعية أصدرتها جمعية
« الإخوان المسلمين » في يوم الخميس الثاني عشر من شهر صفر الحير عام
اثنين وخمسين ومائة وألف من الهجرة النبوية .

أولهما : الاعتمادُ على طريقةِ القرآنِ الكريمِ ،
والرسولِ صلى الله عليه وسلم ، في توصيلِ العقائدِ الدينيةِ إلى
النفوسِ ، واستيلائها على المشاعرِ والقلوبِ ، بدونِ تعمقٍ
في الألفاظِ ، أو تشعبٍ في البحوثِ ، أو إيرادٍ للآراءِ
والمذاهبِ ، أو خوضٍ في مصطلحاتِ الفلاسفةِ ، والمناطقَةِ ،
والكلاميينِ ، والجدّالينِ . وتلكَ طريقةُ السلفِ الصالحِ
رضوانُ الله عليهم .

وثانيهما : العنايةُ ببيانِ آثارِ هذهِ العقائدِ في النفوسِ ؛
ليعلمَ القارئُ أينَ نفسهُ من درجةِ استيلاءِ العقيدةِ الإسلاميةِ
عليها ، فإن كانت متأثرةً بها حمدَ الله على نعمتهِ ، وإن
كانت هذهِ الآثارُ ضعيفةً في نفسه عملَ على علاجها ،
وتقويةِ إيمانها ؛ فقد كانت العقائدُ عندَ أسلافنا عواطفَ
مستقرةً في القلوبِ ، ومشاعرَ مستقويةً على النفوسِ ، فلما
أن صارت عندنا جدلاً وكلاماً ، ضعفَ إيمانُ الأمةِ ،
وتسربَ إلى دينها الخللُ والوهنُ .

وسنتبعُ ذلكَ ، عندَ مناسباتِهِ ، برّدِ الشبهاتِ الحديثةِ ،
والاستدلالِ على العقائدِ الإسلاميةِ ، بالنظرياتِ العصريةِ .

لا على سبيل المزج والاختلاط ، ولكن على سبيل الاستثناس والاستنباط ؛ فتأول قول الله تعالى ^(١) : « سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق » ^(٢) .

أسند إلى الإشراف على إخراج هذه العقائد وتحقيق أصولها ، فلبيت مسرورا ، فطلما شغفت بنشرها ونشر غيرها من آثار فضيلة الأستاذ المؤلف رحمه الله الكثيرة النافعة .

وقد قابلت الآيات القرآنية الكريمة في العقائد على مصحف الملك فؤاد الأول نعمده الله برحمته ، وضبطت بعض كلماتها بالحركات ، وقابلت الأحاديث النبوية على « الجامع الصحيح » للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، و « الجامع الصحيح » للإمام أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري ، و « السنن » للإمام أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني ، و « السنن » للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي وغيرها ، كما ضبطت بعض كلمات

(١) سورة فصلت آية ٥٣

(٢) إلى هنا انتهى كلامه رحمه الله عليه .

الحديث بالحركات . وعلقتُ عليها تعليقاتٍ موجزةً اقتبسْتُها
من تفسير الإمامين : جلال الدين محمد بن أحمد الحلبي ،
وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، وتفسير أبي
عبد الله محمد بن أحمد القرطبي . ومن شرح البخاري للحافظ
أحمد بن حنبل العسقلاني ، وشرح مسلم للإمام يحيى الدين
يحيى بن شرف النووي وشرح الترمذي للأستاذ عبد الرحمن
المبار كفوري ومن غيرها .

والله أسألُ الإخلاصَ والقبولَ ، وهو حسبي ونعم
الوكيلُ .

مفتي محمد بن عبد الله

غرة ربيع الأول سنة ١٣٧١ هـ

مقدمات

١ - تعريف العقائد

العقائد : هي الأمور التي يجب أن يُصدَّق بها قلبك ،
وتطمئن إليها نفسك ، وتكون يقينا عندك ، لا يمازجها
ريب ، ولا يخالطه شك .

٢ - الناس في درجات الاعتقاد

والناس في قوة العقيدة وضعفها أقسام كثيرة ، بحسب
وضوح الأدلة ، وتمكنها من نفوس كل قسم . ولنوضح
لك هذا المقام بضرب المثال الآتي :

لو أن رجلا سمع بوجود بلد لم يره ، كاليمين مثلا ، من
رجل آخر غير معروف بالكذب فإنه يصدق بوجود هذا
البلد ويعتقده ، فإذا سمع هذا الخبر من عدة رجال زاد
به ثقة ، وإن كان لا يمنعه ذلك من أن يشك في اعتقاده إذا
عرضت له الشبهات ، فإذا رأى صورته الفتوغرافية زاد
اعتقاده بوجوده ، وأصبح الشك متعسرا عليه أمام قوة
هذا الدليل ، فإذا سافر وبدت له أعلامه وبشائره زاد

إيقانه وزال شكه ، فإذا نزل ورآه رأى العين ، لم يعد هناك مجال للريبة ، ورسخت في نفسه هذه العقيدة رسوخاً قوياً حتى يكون من المستحيل رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها ، فإذا سار في طريقه وشوارعه ، ودرس شؤنه وأحواله ازداد به خبرة ومعرفة ، وكان ذلك أمراً موضحاً لاعتقاده زائداً عليه .

الناس أمام
العقائد

إذا علمت هذا فاعلم أن الناس أمام العقائد الدينية أقسامٌ كذلك : منهم من تلقاها تلقيناً ، واعتقدها عادة ، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشبهات ؛ ومنهم من نظر وفكر فازداد إيمانه ، وقوى يقينه ؛ ومنهم من أدام النظر وأعمل الفكر ، واستعان بطاعة الله تعالى وامتنال أمره ، وإحسان عبادته ، فأشرق مصابيح الهداية في قلبه ، فرأى بنور بصيرته ما أكمل إيمانه وأتم يقينه ، وثبت فؤاده : « وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١) » .

وإما ضربنا لك هذا المثل لترقى بنفسك عن مواطن التقليد في التوحيد ، وتعمل الفكرة في تفهم عقيدتك ،

وتستعين بطاعة مولاك في معرفة أصول دينك حتى تصل
إلى مراتب الرجال ، وتترق في مدارج الكمال :
قد رشّحوك لأمرٍ لو فَطَنْتَ له
فَارْبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرعى مع الهَمَلِ

٣ — تقدير الإسلام للعقل رحمه على التفكير والنظر

أساسُ العقائد الإسلامية ، كسكل الأحكام الشرعية ، تقدير الإسلام
كتابُ الله تعالى ، وسنةُ رسوله صلى الله عليه وسلم .
للعقل

ويجب أن تعلم ، مع ذلك ، أن كل هذه العقائد يؤيِّدها العقل وتأييد
العقل ، ويثبتها النظرُ الصحيح ؛ ولهذا شرف الله تعالى
العقلَ بالخطاب ، وجعله مناطَ التكليف ، وندبته إلى البحثِ
والنظرِ والتفكير . قال الله تعالى : « قُلْ انظُرُوا مَاذَا
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(١) وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ
لَا يُؤْمِنُونَ ^(٢) » . وقال تعالى : « أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ

(١) « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » : أى من الآيات
الدالة على وحدانية الله تعالى . « وما تغني الآيات » : أى الدلالات .
« والنذر » : أى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

(٢) سورة يونس آية ١٠١

فوقهم^(١) كيف بنيناها ، وزيناها ، وملها من فروع
والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من
كل زوج بهيج . تبصرةً وذكري لكل عبد منيب .
ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحَبَّ الحصيد .
والنخل باسقاتٍ لها طلعٌ نضيدٌ . رزقاً للعباد وأحيينا
به بلدةً ميمناً ، كذلك الخروج^(٢) ، وذم الذين لا يتفكرون
ولا ينظرون فقال تعالى : « وكأين من آية^(٣) في السموات
والأرض يمرُّون عليها وهم عنها معرضون^(٤) » وطالب الخصوم

(١) « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم : أى نظر اعتبار وتفكر » كيف
بنيناها : أى رفعاها بلا عمد . « وزيناها » بالنجوم « وملها من فروع »
أى شقوق تعيمها « والأرض مددناها » : أى دحوناها « وألقينا فيها
رواسي » جبالاتها « من كل زوج » : أى صنف من النبات « بهيج »
أى حسن يسر الناظرين « تبصرة » أى فعلنا ذلك تبصيراً منا « وذكري »
تذكيراً « لكل عبد منيب » رجع إلى طاعتنا « فأنبتنا به جنات » : أى
بساتين « وحب الحصيد » : أى وحب الثبت المحصود . « والنخل
باسقات » : أى طوالا « لها طلع نضيد » متراكب بعضه فوق بعض
« كذلك الخروج » : أى من القبور .

(٢) سورة ق آية ١١ .

(٣) « وكأين من آية » : أى وكمن آية دالة على وحدانية الله تعالى
« يمرُّون عليها » : أى يشاهدونها « وهم عنها معرضون » :
أى لا يتفكرون فيها .

(٤) سورة يوسف آية ١٠٥

بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان ؛ تقديرًا للأدلة ، وإظهاراً لشرف الحجة . وقد ورد في الحديث أن بلالاً جاء يُؤذِنُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ فَرَأَاهُ يَبْكِي فَبَسَّاهُ عَنْ سَبَبٍ بَكَاهُ . فقال : « وَيَحْكُ يَا بِلَالُ ! وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَبْكِيَ » وقد أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَىَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ « إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ^(١) » . ثم قال : « وَيَلُ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ » فيها ! « رواه ابن أبي الدنيا في كتاب « التفكر » .

ومن هنا تعلم أن الإسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول ، وإن أرشدها إلى التزام حدّها ، وعرفها قلة علمها ، وندبها إلى الاستزادة من معارفها ، فقال تعالى : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ^(٢) » ، وقال تعالى : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ^(٣) » .

(١) « آيات لأولى الألباب » الذين يستعملون عقولهم في تأمل الدلائل . قال القرطبي : حتم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته إذ لا تصدر إلا عن حي قيوم قدير قدوس سلام غني عن العالمين حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين لا إلى التقليد . سورة آل عمران آية ١٩٠

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥

(٣) سورة طه آية ١١٤

٤ — أقسام العقائد الإسلامية

أقسام العقائد
الإسلامية

العقائد الإسلامية تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية ،
تحت كل قسم منها فروع عدة .

القسم الأول : الإلهيات . وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه
وتعالى من حيث صفاته وأسمائه وأفعاله . ويلحق بها ما يستلزمه
اعتقادها من العبد لمولاه .

القسم الثاني : النبوات . وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم
وإلى الحاجة إلى رسالتهم . ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء
رضوان الله عليهم ، والمعجزة والكرامة ، والكتب السماوية .

القسم الثالث : الرُوحانيّات . وتبحث فيما يتعلق بالعالم
غير المادى : كالملائكة عليهم السلام ، والجن ، والروح .

القسم الرابع : السّمعيّات . وتبحث فيما يتعلق بالحياة
البرزخيّة ، والحياة الأخروية : كأحوال القبر ، وعلامات
القيامة ، والبعث ، والموقف ، والحساب ، والجزاء .

القسم الأول - الإلهيات

١ - ذات الله تبارك وتعالى

اعلم يا أخى ، هداانا الله وإياك إلى الحق ، أن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيطَ بها العقولُ البشريةُ ، أو تدركها الأفكارُ الإنسانيةُ ؛ لأنها مهما بلغت من العلوِّ والإدراك محدودة القوة ، محصورة القدرة . وسنفرد لك بحثاً خاصاً إن شاء الله تعالى تعلم منه مبلغ قصور العقل البشرى عن إدراك حقائق الأشياء ، ولكن يكفي أن أذكرك بما نلمسه الآن من أن عقولنا ، من أكبرها إلى أصغرها ، تنتفع بكثير من الأشياء ولا تعلم حقائقها . فالكهربا ، والمغناطيس وغيرها ، قوى نستخدمها وننتفع بها ولا نعلم شيئاً من حقيقتها ، ولا يستطيع أكبرُ عالم الآن أن يفيدك عنها بشيء ؛ على أن معرفة حقائق الأشياء وذواتها لا يفيدنا بشيء ، ويكفيها أن نعرف من خواصها ما يعود بالفائدة علينا .

فإذا كان هذا شأننا فى الأمور التى نلمسها ونحسها فما بالك بذات الله تبارك وتعالى ؟ ! وقد ضل أقوام تكلموا فى ذات الله تبارك وتعالى فكان كلامهم سبباً لضلالتهم وفتنتهم واختلافهم

لأنهم يتكلمون فيما لا يدركون تحديده ، ولا يقدرّون على معرفة كُنْهِهِ ؛ ولهذا نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن التفكير في ذات الله ، وأمر بالتفكير في مخلوقاته .

التفكير
في ذات الله

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوماً تفكّروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدَرُوا قَدْرَهُ » قال العراقي : رواه أبو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ ، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بِإِسْنَادٍ أَصَحَّ مِنْهُ ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى . وليس ذلك حجراً على حرية الفكر ، ولا جموداً في البحث ، ولا تضيقاً على العقل ، ولكنه عصمة له من التردى في مهاوى الضلالة ، وإبعاداً له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائلُ بحثها ، ولا تحتمل قوّته ، مهما عظمت ، علاجها . وهذه هي طريقة الصالحين من عباد الله العارفين بعظمة ذاتِهِ ، وجلالِ قدرِهِ . سئل الشبلي^(١) رحمه الله تعالى

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي . قال أبو القاسم القشيري : بغدادى المولد والمنشأ ، وأصله من أسر وشنة ، صلب الجنيد ومن في عصره وكان نسيج وحده حالا وطرفاً وعلماء ، مالكي المذهب ، عاش سبعاً وثمانين سنة ، ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقبره ببغداد . ولما تاب الشبلي في مجلس « خير » النساك أتى دماوند وقال : كنت والى بلدكم فاجعلوني في حل . ومجاهداته في بدايته فوق الحد .

عن الله تبارك وتعالى فقال : هو الله الواحدُ المعروف ، قبل الحدود وقبل الحروف . وقيل ليحيى بن مُعَاذٍ ^(١) : أخبرني عن الله عز وجل ؟ فقال : إلهٌ واحدٌ . فقيل له : كيف هو ؟ فقال : مَلِكٌ قَادِرٌ . فقيل له : أين هو ؟ فقال : هو بِالْمِرْصَادِ . فقال السائل : لم أسألك عن هذا . فقال : ما كان غير هذا كان صفة المخلوق ، فأما صفته فما أخبرتك عنه . فاحصر همتك في إدراك عظمة ربك بالتفكير في مخلوقاته والتمسك بلوازم صفاته .

٢ — أسماء الله تبارك وتعالى

أسماء الله
الحسنى

إن الخالق المتصرف جل وعلا تعرّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله ، يحسن بالمؤمن حفظها تبركاً بها ، وتلذّذاً بذكرها ، وتعظيماً لقدرها . وإليك الحديث الصحيح الذي جمعها ، فنعم المعلم حديثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم المرشدُ والهادي لسانُ الوحي ، ومشكاةُ النبوة .

(١) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي . قال القشيري : نسيج وحده في وقته ، له لسان في الرجاء خصوصاً ، وكلام في المعرفة ، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين . قال أحمد بن عيسى : سمعت يحيى بن معاذ يقول : كيف يكون زاهداً من لا ورع له ، تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك . وقال يحيى : لا ترخ على نفسك بشيء أجل من أن تشغلها في كل وقت بما هو أولى بها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً ^(١) » لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر ^(٢) يحب الوتر » رواه البخارى ومسلم . وفى رواية للبخارى « من أحصاها » ورواه الترمذى وزاد : هو الله الذى لا إله إلا هو ، الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارى ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ،

(١) قوله صلى الله عليه وسلم « مائة إلا واحداً » قال الحافظ العسقلانى فى شرح البخارى : قال جماعة من العلماء الحكمة فى قوله « مائة إلا واحداً » بعد قوله « تسعة وتسعون » أن يتقرر ذلك فى نفس السامع جمعا بين جهتي الإجمال والتفصيل ، أو دفعا للتصحيح الخطى والسمعى .

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم « وهو وتر » : أى أنه تبارك وتعالى الواحد الذى لا نظير له فى ذاته ولا انقسام . وقوله صلى الله عليه وسلم « يحب الوتر » قال القرطبي : الظاهر أن الوتر هنا للجنس ؛ إذ لا معهود جرى ذكره حتى يحمل عليه ، فيكون معناه أنه يحب كل وتر شرعه . ومعنى محبته له أنه أمر به وأثاب عليه ، ويصلح ذلك لعموم ما خلقه وترا من مخلوقاته ، أو معنى محبته له أنه خصصه بذلك الحكمة يعلمها . ويعتدل أن يريد بذلك وترا بعينه وإن لم يجر له ذكر . ثم قال بعد كلام : ويظهر لى وجه آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد ، فيكون المعنى إن الله فى ذاته وكماله وأفعاله ، واحد يحب التوحيد ؛ أى أن يوحد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه ، فيلتزم أول الحديث وآخره ، والله أعلم .

القابضُ ، الباسِطُ ، الخافِضُ ، الرافِعُ ، المعِزُّ ، المذلُّ ،
السميعُ ، البصيرُ ، الحكَمُ ، العدلُ ، اللطيفُ ، الخبيرُ ،
الحليمُ ، العظيمُ ، الغفورُ ، الشَّكورُ ، العليُّ ، الكبيرُ ،
الحفيظُ ، المُقيتُ ، الحسيبُ ، الجليلُ ، الكريمُ ،
الرَّقِيبُ ، الجيبُ ، الواسعُ ، الحكيمُ ، الودودُ ، المجيدُ ،
الباعثُ ، الشهيدُ ، الحقُّ ، الوكيلُ ، القويُّ ، المتينُ ،
الوليُّ ، الحميدُ ، المحصيُّ ، المبدئُ ، المعيدُ ، المحييُّ ، المميتُ
الحَيُّ ، القيُّومُ ، الواجدُ ، الماجدُ ، الواحدُ ، الصمدُ ،
القادرُ ، المقتدرُ ، المقدمُ ، المؤخرُ ، الأولُ ، الآخرُ ،
الظاهرُ ، الباطنُ ، الواليُّ ، المتعالى ، البرُّ ، التوابُ ، المنتقمُ ،
العفوُّ ، الرؤوفُ ، مالكُ الملكِ ، ذو الجلالِ والإكرامِ ،
المقسطُ ، الجامعُ ، الغنىُّ ، المغنىُّ ، المانعُ ، الضارُّ ،
النافعُ ، النورُ ، الهاديُّ ، البديعُ ، الباقيُّ ، الوارثُ ،
الرَّشيدُ ، الصبورُ .

معاني بعض هذه الأسماء الكريمة

معاني
أسماء الله

« الْقُدُّوسُ » المطهَّرُ من العيوبِ . « السَّلَامُ » الأمان
خلقه ، أو هو السَّالمُ من العيوبِ ، « الْمُؤْمِنُ » المصدقُ
وعده خلقه والمؤمنُ لهم من عذابه . « الْمُهِمِّنُ » المسيطرُ
(٢)

المتصرفُ ، أو الشهيدُ الرقيبُ . « العزيزُ » القاهرُ الغالبُ .
« الجبارُ » المنفذُ لأوامره . « المتكبرُ » العالى عن صفات
الخلق المتفرّدُ بصفات عظمتِهِ « البارى » الخالقُ وهو فى
خلق ذى الرُّوح أظهر . يقال : بارىءُ النَّسَمِ وخالقُ السمواتِ
والأرضِ . « المُقيتُ » العالمُ العارفُ « الحسيبُ » الكافى
لخلقِهِ . « المحصى » هو الذى أحصى كلَّ شىءٍ بعلمِهِ فلا
يفوته شىءٌ من الأشياءِ . « البرُّ » المتعطفُ على عباده ببرِّهِ
ولطفِهِ . . « المنقسطُ » العادلُ فى حكمِهِ . « الرشيدُ » الذى
يرشدُ الخلقَ إلى مصالحِهِم . « الصبور » هو الذى لا يعاجلُ
العصاةَ بالانتقامِ منهم .

بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى

٢ — الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين

هذه التسعة والتسعون ليست كل ما ورد في أسماء الله
تبارك وتعالى ، بل وردت الأحاديث بغيرها من الأسماء .
فقد ورد في هذا الحديث من رواية أخرى « الحَنَّانُ »
« المَنَّان » « البديع » ، وورد كذلك من أسمائه تعالى
« المُنِيتُ » ، و « الكفيلُ » ، و « ذو الطَّوْلِ » ،
و « ذو المعارج » و « ذو الفضلِ » ، و « الخلاقُ » .
قال أبو بكر بن العربي في شرح الترمذی حاكيا عن
بعض أهل العلم : إنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه
تعالى ألف اسم . وفي كلام صاحب « القصص المجرّد »
ما يفيد ذلك ، وأشار إلى ذلك الشوكاني في « تحفة
الذاكرين » ثم قال : وأنهض ما ورد في إحصائها الحديث
المذكور وفيه الكفاية .

٢ — الأحاديث التي وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله
تعالى على المجاز .

ثم اعلم أن بعض الأحاديث وردت فيها ألفاظ على
أنها أسماء لله تعالى ، ولكن قرأنا الحال وأصل الوضع
أسماء الله
مجازية

يدل على غير ذلك ، فاعلم أن ذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة ، ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما أو على تقدير بعض المحذوفات . مثال ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ » رواه مسلم ، وحديث عائشة رضى الله عنها : « دَعَا يَتْنُ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى يَرْتَحُّ إِلَيْهِ الْمَرِيضُ » ذكره الجلال السيوطى فى الجامع الصغير عن الرافعى وحسنه ، وليس هو من رواية مسلم ، ولا من حديث أبى هريرة كما يخطئ بعض الناس ، ومنه ما ورد فى إطلاق اسم رمضان على الحق تبارك وتعالى فى بعض الآثار .

فكل هذه لا يراد منها ظواهرها وحقيقة الإطلاق ، بل المقصود فى الأول مثلا : فإن الله هو المسبب لحوادث الدهر فلا يصح أن ينسب إلى الدهر شيء ولا أن يسب ويذم^(١) . وفى الثانى : فإن الأنبياء أثر قهر الله تعالى يرتاح إليه المريض وهكذا فى المعانى التى تدل عليها قرائن الأحوال .

(١) وقال النووى فى شرح مسلم : أى لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها ، وأما الدهر الذى هو الزمان فلا فعل له ، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى .

٣ - التوقيف في أسماء الله تعالى وصفاته

واعلم أن جمهور المسلمين على أنه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسماً أو وصفاً لم يرد به الشرع ، بقصد اتخاذه اسماً له تعالى وإن كان يُشعر بالكمال . فلا يصح أن نقول : مهندس الكون الأعظم ، ولا أن نقول مثلاً : المدير العام لشئون الخلق ، على أن تكون هذه أسماء أو صفات له تعالى يصطالح عليها ، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى ، ولكنها إن جاءت في عرض الكلام لبيان تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس ، والأولى العدول عن ذلك تأديباً مع الحق تبارك وتعالى .

٤ - العلمية والوصفية في هذه الأسماء

وهذه الأسماء المتقدمة منها علم واحد وُضع للذات القدسية وهو لفظ الجلالة : الله ، وباقيها كلها ملاحظ فيها معنى الصفات ؛ ولهذا صح أن تكون أخباراً للفظ الجلالة . وهل هو مشتق أو غير مشتق ؟ مسألة خلافية ، لا يترتب عليها أمر عملي ، وحسبنا أن نعلم أن اسم الذات هو هذا الاسم المفرد وبقية الأسماء مشربة بالوصفية ، وفي هذا الكفاية .

التوقيف
في أسماء الله

العلمية والوصفية
في أسماء الله

٥ — فواص أسماء الله الحسنى

خواص
أسماء الله

يذكر البعض أن لكل اسم من أسماء الله تعالى خواص وأسراراً تتعلق به على إفاضة فيها أو إيجاز ، وقد يتغالى البعض فيتجاوز هذا القدر إلى زعم أن لكل اسم خادماً روحانياً يخدم من يواظب على الذكر به ، وهكذا ، والذي أعلمه في هذا ، وفوق كل ذي علم عليم ، أن أسماء الله تعالى ألفاظٌ مشرفة لها فضل على سائر الكلام ، وفيها بركة ، وفي ذكرها ثوابٌ عظيم ، وأن الإنسان إذا واظب على ذكر الله تعالى طهرت نفسه ، وصفت روحه ، ولا سيما إذا كان ذكره بحضور قلب وفهم للمعنى . أما ما زاد على ذلك فلم يرد في كتاب ولا سنة ، وقد نهينا عن الغلو في دين الله تعالى ، والزيادة فيه ، وحسبنا الاقتصار على ماورد .

٦ — اسم الله الأعظم

اسم الله
الأعظم

ورد ذكر اسم الله الأعظم في أحاديث كثيرة ؛ منها :
١ — عن بريدة رضى الله عنه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك بأننى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد

الصَّمدُ^(١) الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحدٌ
 قال : فقال : « والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه
 الأعظم^(٢) ، الذى إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به
 أعطى » رواه أبو داودَ والترمذى والنسائى وابن ماجه .
 وقال المنذرى : قال شيخنا أبو الحسن المقدسى : هو
 إسنادٌ لا مطعن فيه ، ولا أعلم أنه روى فى هذا الباب
 حديثٌ أجودُ إسناداً منه . وقال الحافظُ ابنُ حجر : هذا
 الحديث أرجحُ ماورد فى هذا الباب من حيث السند .

٢ — عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخل
 النبىُّ صلى الله عليه وسلم المسجدَ ورجلٌ قد صلى^(٣) وهو يدعو
 ويقول فى دعائه : اللَّهُمَّ لا إله إلا الله ، أنتَ المَنَّانُ ،

(١) « الصمد » : أى المقصود فى الخوائج . « ولم يكن له كفواً
 أحد » : أى ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلاً .

(٢) « لقد سأل الله باسمه الأعظم » قال الطيبي : فيه دلالة على أن الله
 تعالى اسماً أعظم إذا دعى به أجاب ، وأن ذلك مذكور ههنا ، وفيه
 حجة على من قال : كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو
 الاسم الأعظم ؛ إذ لا شرف للحروف ، وقد ذكر فى أحاديث آخر مثل
 ذلك وفيها أسماء ليست فى هذا الحديث إلا أن لفظ الله مذكور فى الكل
 فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم .

(٣) « دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى » قال
 النووى قال الخطيب هذا الرجل أبو عياش زيد بن الصامت الأنصارى الزرقى

بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام^(١) . فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : « أتدرون بم دعا الله ؟ دعا الله
باسمِهِ الأعظم الذي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ ، وإذا سُئِلَ بِهِ
أُعْطِيَ » رواه أبو داودَ والترمذِيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجهَ .

٣ — عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : اسمُ الله الأعظمُ في هاتين الآيتين
« وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . وفتحة
آل عمران : أَلَمْ يَأْتِ الْفِتْيَمَ » رواه
أحمد وأبو داودَ والترمذِيُّ وابنُ ماجهَ . وقال الترمذِيُّ : حديثٌ
حسنٌ صحيحٌ .

٤ — عن سعد بن مالك رضى الله عنه قال : سمعتُ
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هل أدلكم على
اسمِ الله الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ ، وإذا سُئِلَ بِهِ
أُعْطِيَ ؟ الدعوة التي دعا بها يونسُ حيث نادى في الظلماتِ
الثلاث : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ ! إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ » . فقال رجلٌ : يا رسولَ الله هل كانت ليونسُ

(١) « ذا الجلال والإكرام » : أى يا ذا العظمة والكبرياء ، وذا الإكرام
لأوليائك .

(٢) « في الظلمات الثلاث » ظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر .

خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « فَنَجِّنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ » رواه الحاكم .

فأنت ترى من هذه الأحاديث ومن غيرها أنها لم تعين الاسم الأعظم بالذات ، وأن العلماء مختلفون في تعيينه لاختلافهم في ترجيح الأحاديث بعضها على بعض ، حتى اختلفوا على نحو الأربعين قولاً . والذي نأخذه من هذه الأحاديث الشريفة ، ومن أقوال الثقات من رجال الملة أن الاسم الأعظم دعاء مركب من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسان ، مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعاً استجاب الله له ، وقد صرحت به الأحاديث الشريفة في عدة مواضع .

وإذا تقرر هذا فما يدعيه بعض الناس من أنه سر من الأسرار يمنح لبعض الأفراد ، فيفتحون به المملكات ، ويخرقون به العادات ، ويكون لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس ، أمر زائد على ما ورد عن الله ورسوله . وإذا احتج هؤلاء البعض بالآية الكريمة وهي قوله تعالى « قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ

علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك^(١)
على القول بأن معنى : « عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ » أنه
اسمُ اللهِ الأعظم ، نقول لهم : قد صرح المفسرون بأن ذلك
المدعو به كان : يا حَيُّ يا قَيُّوْمُ ، أو : اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ . وادعى بعضهم أنه سرياني لفظه (آهيا شراهيا) ،
وهي دعوى بغير دليل ، فلم يخرج الأمر عما ورد في الأحاديث
الصحيحة .

وخلاصة البحث أن بعض الناس ولعوا بالمعميات ،
وادعاء الخصوصيات ، والزيادة في المأثورات ، فقالوا ما لم يرد
في كتاب ولا سنة ، وقد نهينا عن ذلك نهياً شديداً ،
فلنقف مع المأثور .

صفات الله تعالى

١ - صفات الله تبارك وتعالى في نظر العقل السليم

صفات الله
في نظر العقل

أنت إذا نظرت إلى هذا الكون وما فيه من بدائع الحكم ،
وغرائب المخلوق ودقيق الصنع ، وكبير الإحكام ، مع العظمة
والإتساع ، والتناسق والإبداع ، والتجدد والاختراع ؛ ورأيت
هذه السماء الصافية بكواكبها وأفلاكها وشموسها وأقمارها
ومداراتها ؛ ورأيت هذه الأرض بنباتاتها وخيراتها ومعادنها
وكنوزها وعناصرها وموادها ، ورأيت عالم الحيوان وما فيه
من غريب الهداية والإلهام ؛ بل لو رأيت تركيب الإنسان وما
احتواه من أجهزة كثيرة ، كل يقوم بعمله ، ويؤدي وظيفته ،
ورأيت عالم البحار وما فيه من عجائب وغرائب ، وعرفت القوى
الكونية وما فيها من حكم وأسرار من كهرباء ، ومغناطيس
وأثير ، وراديوم ، ثم انتقلت من النظر إلى ذوات العالم
وأوصافها ، إلى الروابط والصلات فيما بينها ، وكيف أن
كلا منها يتصل بالآخر اتصالاً محكماً وثيقاً بحيث يتألف من
مجموعها وحدة كونية كل جزء منها يخدم الأجزاء الأخرى
كما يخدم العضو في الجسم الواحد بقية الأعضاء ، نخرجت
من كل ذلك ، من غير أن يأتيك دليل أو برهان ، أو

وحيّ أو قرآن ، بهذه العقيدة النظرية السهلة وهي : أن لهذا الكون خالقاً صانعاً مؤجداً ، وأن هذا الصانع لا بد أن يكون عظيماً فوق ما يتصور العقل البشري الضعيف من العظمة ، وقادراً فوق ما يفهم الإنسان من معاني القدرة ، وحيّاً بأكل معاني الحياة ، وأنه مستغن عن كل هذه المخلوقات ؛ لأنه كان قبل أن تكون ، وعليماً بأوسع حدود العلم ، وأنه فوق نواميس هذا الكون لأنه واضعها ، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقها ، وبعدها لأنه الذي سيحكم عليها بالعدم ؛ وإجمالاً ستري نفسك مملوياً بالعقيدة بأن صانع هذا الكون ومدبره : متصف بكل صفات الكمال فوق ما يتصورها العقل البشري الصغير ، ومنزّه عن كل صفات النقص ؛ وستري هذه العقيدة وحيّ وجداً لك لوجدانك ، وشعور نفسك لنفسك : « فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ »^(١) .

ونسوق إليك بعد هذه المقدمة بعض غرائب الحوادث في هذا الكون ، وستري أنها ، على قلتها ، بالنسبة لعظمة الكون وما فيه من دقة وإحكام ، ستكون كافية لأن تشعر في نفسك بما قدّمت لك .

الملاحظة الأولى : هذا الهواء الذى نستنشقه مركبٌ من عدة عناصر ، منها جزءان هامان : جزء صالح للتنفس الإنسان ويُسمى باصطلاح الكيميائيين الأوكسجين ، وجزء ضار به ويُسمى الكربون . فمن دقائق الارتباط بين وحدات هذا الوجود المعجز أن هذا الجزء الضار بالإنسان يتنفسه النبات وهو نافع له ، ففي الوقت الذى يكون الإنسان فيه يستنشق الأوكسجين ويطرد الكربون يكون النبات يعمل عكس هذه العملية ، فيستنشق الكربون ويطرد الأوكسجين . فانظر إلى الرابطة التعاونية بين الإنسان والنبات فى شيء هو أهم عناصر الحياة عندهما ، وهو التنفس ، وقل لى ، بعد ذلك ، هل يفعل هذا فى الكون العظيم غير عظيم قادرٍ واسع العلم ، دقيق الحكمة ؟ .

الملاحظة الثانية : أنت تأكل الطعام وهو يتركب من عدة عناصر نباتية أو حيوانية ، يقسمها العلماء إلى مواد زلالية ، أو نشوية ، أو دهنية مثلاً ، فترى أن الريق يهضم بعض المواد النشوية ، ويذيب المواد السكرية ونحوها مما يقبل الذوبان ، والمعدة يهضم عصيرها المواد

الزُّلالية كاللحم وغيره ، والصفراء المنفرزة من الكبد تهضم الدهنيات ، وتجزئها إلى أجزاء دقيقة يمكن امتصاصها ، ثم يأتي البنكرياس بعد ذلك فيفرز أربع عصارات تتولى كل واحدة منها تميم الهضم في عنصر من العناصر الثلاثة النشوية ، أو الزُّلالية ، أو الدهنية ، والرابعة تحول اللبن إلى جبن . فتأمل هذا الارتباط العجيب بين عناصر الجسم البشري ، وعناصر النبات والحيوان والأغذية التي يتغذى بها الإنسان ! .

الملاحظة الثالثة : ترى الزهرة في النبات فترى لها أوراقاً جميلةً جذابةً ملونةً بألوانٍ بهجة ، فإذا سألت علماء النبات عن الحكمة في ذلك ، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من الخلوقات التي تتمتع رحيق الأزهار لتسقط على الزهرة ، حتى إذا وقفت على عيدانها علفت حبوب اللقاح بأرجلها ، وانتقلت بذلك من الزهرة الذكّر إلى الزهرة الأنثى فيتم التلقيح . فانظر كيف جعلت هذه الأوراق الجميلة في الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان حتى يستخدم النبات الحيوان في عملية التلقيح الضرورية للإثمار والإنتاج ! .

كل ما في الـكون ينبئك بوجودِ حكمةٍ عاليةٍ ، وإرادةٍ
ساميةٍ ، وسيطرةٍ قويةٍ ، ونواميسٍ في غايةِ الدقةِ والإحكامِ
يسير عليها هذا الوجود . وربُّ هذهِ الحكمةِ ، وصاحبُ
هذهِ العظمةِ ، وواضعُ هذهِ النواميسِ هو : الله .

وقد أفاضَ القرآنُ في ذلك ، وفي لفتِ الأنظارِ إلى
هذهِ الحكمِ البارةِ ، والأسرارِ العالمةِ ، فلا تكادُ تخلو
سورةٌ من سورهِ من ذكرِ آلاءِ الله ونعمه ، ومظاهرِ قدرته
وحكمته ، وحثِّ الناسِ على تجديدِ النظرِ في ذلك ، ودوامِ
التفكيرِ فيه .

قال تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ ^(١) أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ،
ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ؛
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ^(٢) ؛

(١) « وَمِنْ آيَاتِهِ » : أى ومن آياتِ الله تبارك وتعالى الدالة على
قدرته . « ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ » : أى تنتشرون في الأرض
تتصرفون فيما هو قوامِ معاشكم .

(٢) « وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ » : أى اختلافِ لغاتكم من
عربيةٍ وعجميةٍ وغيرهما ، واختلافِ ألوانكم من بياضٍ وسوادٍ وغيرهما
وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ^(١) . وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ ، وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ^(٢) ؛ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْيَكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا^(٣) ؛
وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ؛
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^(٤) .

وقال تعالى : « اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا^(٥) فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ،
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ
عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ . فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ

(١) « إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ » بفتح اللام وكسرهما : أى ذوى
العقول وأولى العلم .

(٢) « وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ » : أى تصرفكم فى طلب المعيشة
بإرادته . « إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ » : أى سماع تدبّر واعتبار .
(٣) « وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْيَكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا » : أى خوفا للمسافر
من الصواعق وطمعا للقيم فى المطر .

(٤) سورة الروم آية ٢٤

(٥) « فَتُثِيرُ سَحَابًا » : أى تزعجه « وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا » : أى قطعاً متفرقا
« فَتَرَى الْوَدْقَ » : أى المطر . « يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ » : أى من وسطه . « إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ » : أى يفرحون بنزول المطر عليهم . « وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ
أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ » : أى ليائسين من نزوله .

يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ؛ إِنَّ ذَلِكَ لَمَحْيِي الْمَوْتَى ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(١) .

وغير ذلك كثيرٌ في سورة الرَّعْدِ ، وَالْقَصَصِ ، وَالْأَنْبِيَاءِ ، وَالنَّمْلِ ، وَق ، وَغيرها من سورِ القرآنِ الكريمِ .

٢ — مجمل صفات الله في القرآن .

أشارت آياتُ القرآنِ الكريمِ إلى بعضِ الصفاتِ الواجبةِ لله تعالى ، والتي يقتضيها كمالُ الألوهية . وإليك بعضَ هذه الآياتِ الكريمةِ :

١ — قال الله تعالى : « اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ^(٢) ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ، وَأَنْهَارًا ، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ^(٣) ، يُغَشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ ؛ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ

(١) سورة الروم آية ٥٠

(٢) « وهو الذي مد الأرض » : أى بسطها طولاً وعرضاً . « وجعل

فيها رواسي » : أى جبالات ثوابت .

(٣) « جعل فيها زوجين اثنين » : أى من كل نوع « يغشى الليل

النهار » : أى يغطي الليل بظلمته النهار .

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وفي الأرضِ قطعٌ ممتَجاوراتٌ ، وَجَنَابٌ
 مِنْ أَغْنَابٍ ، وَزَرْعٌ ، وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ^(١) يُسْقَى
 بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضَّلُ بعضها على بعضٍ في الأَكْلِ ^(٢) . إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وقال تعالى : « وهو
 الذي أنشأ لكم السَّمْعَ والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ،
 وهو الذي ذرأكم ^(٣) في الأرضِ وإليه تُحْشَرُونَ ، وهو الذي
 يُحْيِي وَيُمِيتُ ، ولهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ! » ^(٤) .
 فكلُّ هذه الآياتِ تَنْبِيْهُكَ بوجودِ الله تبارك وتعالى ،
 وتستدل عليه بما ترى . من تَصَرُّفَاتِهِ في شئونِ هذا الكونِ
 العجيب .

٣،٢ — قال الله تعالى : « هو الأولُ والآخِرُ » ^(٥) ، والظاهرُ

قدم الله
 تعالى وبقاؤه

- (١) « ونخيل صنوان وغير صنوان » : جمع صنو وهو : النخلات
 والنخلتان يجمعهن أصل واحد وتشعب منه رءوس فتصير نخلا .
 (٢) « ونفضل بعضها على بعض في الأكل » . الأكل : الثمر ، يعنى الحلو
 والحامض ، وهو من دلائل قدرة الله تعالى . سورة الرعد آية ٤ .
 (٣) « وهو الذي ذرأكم » : أى خلقكم . « وإليه تحشرون » :
 أى يجمعون يوم القيامة للجزاء .
 (٤) سورة المؤمنون آية ٨٠ .
 (٥) « هو الأول » : أى قبل كل شيء بلا بداية « والآخِر » بعد
 كل شيء بلا نهاية « والظاهر » بالأدلة عليه « والباطن » عن إدراك الحواس .

والباطِنُ ، وهو بكلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(١) . وقال تعالى : « ولا تَدْعُ مع الله إِلَهًا آخَرَ ، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ^(٢) » . وقال تعالى : « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(٣) » .
وفي هذه الآياتِ الكريمةِ إشارةٌ إلى صِفَتَيْ الْقَدِيمِ ، والبقاءِ لله تبارك وتعالى .

مخالفة الله
للحوادث

٤ — قال الله تعالى : « قل هو الله أحدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ^(٤) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، ولم يكن له كُفُوًا أَحَدٌ^(٥) » . وقال تعالى : « فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٦) جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ، يَذُرُّكُمْ فِيهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(٧) » .

(١) سورة الحديد آية ٣

(٢) سورة القصص آية ٨٨

(٣) سورة الرحمن آية ٢٧

(٤) « الله الصمد » : أى المقصود فى الحوائج على الدوام .

(٥) « ولم يكن له كفوًا أحد » : أى ولم يكن له أحد مكافئًا ومماثلاً تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً . سورة الإخلاص .

(٦) « فاطر السموات والأرض » : أى خالقهما على غير مثال سبق .
« جعل لكم من أنفسكم أزواجًا » : أى حيث خلق حواء من ضلع آدم .
« ومن الأنعام أزواجًا » : أى ذكوراً وإناثاً .

(٧) سورة الشورى آية ١١

وفي ذلك إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادث من خلقه ، وتنزُّهه عن الولد والوالد والشبيه والنظير .

قيام الله تعالى
بنفسه

٥ — قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ^(١) » . وقال تعالى : « مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ^(٢) ، وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ^(٣) » .

وفي ذلك إشارة إلى قيامه تعالى بنفسه واستغائه عن خلقه مع حاجتهم إليه .

وحدانية الله
تعالى

٦ — قال الله تعالى : « وَقَالَ اللَّهُ : لَا تَتَخَذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ ^(٤) » . وله مافى السموات والأرض ، وله الدين واصباً ^(٥) ، أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ؟ ! وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسَّكم الضرُّ فإليه

(١) سورة فاطر آية ١٥

(٢) « وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ » أى لم أشهد بعضهم خلق بعض . « وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا » : أى أعواناً فى الخلق .

(٣) سورة الكهف آية ٥١

(٤) « فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ » : أى خافون دون غيرى .

(٥) « وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا » : أى دائماً .

تَجَارُونَ^(١) . وقال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا : إنَّ اللهَ
ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ ، وما من إله إلاَّ إلهٌ واحدٌ ، وإن لم يَنْتَهُوا
عما يقولونَ لِمَسَنَّ الذين كفروا منهم عذابُ أليمٌ . أفلا
يتوبونَ إلى اللهِ ويستغفرونه ؟ ! واللهُ غفورٌ رحيمٌ^(٢) » .
وقال تعالى : « أم اتَّخذوا آلهةً من الأرضِ هم يُنْشِرُونَ^(٣) .
لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاَّ اللهُ لفسدتا ، فسبحانَ اللهِ ربِّ العرشِ
عما يصفونَ . لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألونَ . أم اتَّخذوا
من دونه آلهةً ؟ ! قل : هاتوا برهانكم ! هذا ذِكْرٌ مِّنْ
مَّعَى^(٤) وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي ، بل أكثرهم لا يعلمونَ الحقَّ
فهم مُّعْرِضُونَ . وما أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلاَّ نوحِي
إليه أَنَّهُ لا إلهَ إلاَّ أنا فاعْبُدُونِ^(٥) » . وقال تعالى : « قل :
لِمَن الأرضُ وَمَن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله ،

(١) « فإليه تجأرون » : أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء
ولا تدعون لغيره . سورة النحل آية ٥٣

(٢) سورة المائدة آية ٧٤

(٣) « هم ينشرون » : أى يحيون الموتى ، ولا يكون لها إلا من
يحي الموتى .

(٤) « هذا ذكر من معى » : أى أمتى وهو القرآن . « وذكر
من قبلى » من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله تعالى ،
ليس فى واحد منها أن مع الله لها مما قالوا ، تعالى الله عن ذلك .

(٥) سورة الأنبياء آية ٢٥

قل أفلا تذكرون ؟! قل : مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ؟! سَيَقُولُونَ : لِلَّهِ . قل : أفلا تتقون ؟! قل :
مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ^(١) وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟! سَيَقُولُونَ : لِلَّهِ . قل : فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ^(٢) ؟!
بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ،
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ^(٣)
وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ . عَالِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ^(٤) . وقال تعالى :
« قل : الحمد لله ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ، الله
خيرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَأَنْزَلَ
لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ^(٥) مَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ، أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ؟! بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ .

-
- (١) « مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ » : أى ملك كل شيء . والتاء
للمبالغة . « وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ » : أى يحمى ولا يحمى عليه .
(٢) « فَأَنَّى تُسْحَرُونَ » : أى تخدعون وتصرفون عن الحق وعبادة
الله وحده : أى كيف ينخيل لكم أنه باطل .
(٣) « إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ » : أى انفرد به ومنع الآخر من
الاستيلاء عليه « وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ » مغالبة كفعل ملوك الدنيا .
(٤) سورة المؤمنون آية ٩٢
(٥) « فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ » جمع حديقة وهى البستان الذى
عليه حائط . والبهجة : الحسن والجمال .

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا^(١) ، وجعلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا ، وجعلَ لها رِوَاسِي ، وجعلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ، أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ؟ ! بل أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا^(٢) ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ^(٣) ، أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ؟ ! قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ^(٤) ، وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ^(٥) ، أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ؟ ! تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ؟ ! قُلْ : هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٥) .

إلى غير ذلك من الآيات التي تثبت أنه تعالى واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله وتصرفاته ، لا رب غيره ، ولا إله سواه .

(١) « أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا » : أى لا تميد بأهلها . « وجعل لها رِوَاسِي » : أى جبلا أثبت بها الأرض . « وجعل بين البحرين حاجزاً » : أى بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر .

(٢) « أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ » : أى المسكروب الذى مسه الضر . « وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ » : أى سكانها يهلك قوما وينشئ آخرين .

(٣) « أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ » : أى يرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم ليلا وبعلامات الأرض نهارة .

(٤) « وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ » : أى أمام المطر .

(٥) سورة النمل آية ٦٤

٧ — قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ^(١) ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُقَةٍ ، لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ ، وَنُقَرِّضَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ يُعَلِّمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ، وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ^(٢) » .
وقال تعالى : « مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ

(١) « فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ » : أى خَلَقْنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ خَلَقْنَا ذُرِّيَّتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنَى « ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ » أى دَمٍ جَامِدٍ « ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ » وهى لَحْمَةٌ قَدَرِ مَا يَمِضُغُ « مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُقَةٍ » : أى مَصُورَةٍ تَامَةً الْخَلْقِ وَغَيْرِ تَامَةِ الْخَلْقِ . « ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ » : أى نَعْمُرْكُمْ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ، أى الْكَمَالَ وَالْقُوَّةَ وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ سَنَةً . « وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ » : أى أَحْسَهُ مِنَ الْهَرَمِ وَالْخَرَفِ . « وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً » : أى يَابِسَةً لَا تَنْبِتُ شَيْئًا . « فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ » : أى تَحَرَّكَتْ وَارْتَفَعَتْ وَزَادَتْ . « وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ » : أى مِنْ كُلِّ صَنْفٍ حَسَنٍ .

(٢) سورة الحج آية ٧

أنفسهم ، وما كنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا^(١) . وقال تعالى :
 « ولقد خلقنا السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستة أيامٍ ،
 وما مسَّنا من لغوبٍ^(٢) » . وقال تعالى : « وهو الذي مَرَّجَ
 البحرينِ^(٣) هذا عذبٌ فُراتٌ ، وهذا ملحٌ أُجاجٌ ، وجعلَ
 بينهما برزخاً وحجراً محجوراً . وهو الذي خلق من الماء
 بشراً فجعله نسباً وصِهْراً وكان ربُّك قديراً^(٤) » . وقال
 تعالى : « ألم تر أن الله يُزجِي سحاباً^(٥) ثم يؤلفُ بينه ،
 ثم يجعلُ رُكاماً فترى الودقَ يخرجُ من خلاله ، ويُنزلُ
 من السماء من جبالٍ فيها من بردٍ فيصيبُ به مَنْ يشاءُ

(١) سورة الكهف آية ٥١

(٢) « وما مسنا من لغوب » : أى تعب . سورة ق آية ٣٨

(٣) « وهو الذي مَرَّجَ البحرين » : أى أرسلهما متجاورين .
 « هذا عذب فرات » : أى حلو شديد العذوبة . « وهذا ملح أُجاج »
 أى شديد الملوحة . « وجعل بينهما برزخاً » : أى حاجزاً لا يختلط أحدهما
 بالآخر . « وحجراً محجوراً » : أى سترًا مستورا يمنع أحدهما من
 الاختلاط بالآخر . « وهو الذي خلق من الماء بشراً » : أى خلق من النطفة
 إنسانا . قال القرطبي : وفي هذه الآية تعديد النعمة على الناس في إيجادهم
 بعد العدم ، والتنبيه على العبرة في ذلك .

(٤) سورة الفرقان آية ٥٤

(٥) « ألم تر أن الله يزجي سحابا » : أى يسوقه . « ثم يؤلف
 بينه » : أى يجمعه ليقوى ويتصل ويكنف . « ثم يجعله ركاما » : أى
 يجمعها يركب بعضها بعضا . « فترى الودق » : أى المطر .

ويصرفه عن مَنْ يشاء يكادُ سنابَرُقه^(١) يذهبُ بالأبصارِ ، يقلبُ
اللهُ الليلَ والنهارَ ، إِنَّ في ذلكَ لعبرةً لأُولي الأبصارِ .
واللهُ خلقَ كلَّ دابةٍ من ماءٍ فمنهم من يمشي على بطنه ،
ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع ،
يخلقُ اللهُ ما يشاء ؛ إِنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ^(٢) .

إلى غير ذلك من الآياتِ الدالةِ على عظيمِ قدرته تبارك
وتعالى وباهرِ عظمتِهِ .

٨ — قال اللهُ تعالى : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »^(٣) وقال تعالى : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ
قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا^(٤) فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا
تَدْمِيرًا »^(٥) . وقال تعالى حكايةً عن الخضرِ في قصته مع

إرادة الله
تعالى

(١) « يكادُ سنابَرُقه » : أى لمعان برقه « يذهبُ بالأبصارِ »
الناظرةُ إليه : أى يخطفها « يقلبُ اللهُ الليلَ والنهارَ » :
أى دلالةً « لأُولي الأبصارِ » : أى لأصحابِ البصائرِ على قدرةِ اللهِ تعالى .

(٢) سورة النور آية ٥٤

(٣) سورة يس آية ٨٢

(٤) « أَمْرَانَا مُتْرَفِيهَا » : أى منعيتها بمعنى رؤسائها أى أمرناهم بالطاعة
على لسانِ رسلنا . « فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ » : أى بالعذاب « فَدَمَرْنَاهَا »
تدميرًا : أى أهلكناها بإهلاكِ أهلها وتخریبها .

(٥) سورة الإسراء آية ١٦

موسى عليهما السلام : « فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ^(١) وَيُسَخِّرَ جَا كُنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، وما فعلتهُ عن أَمْرِي ، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا » ^(٢) . وقال تعالى : « يَرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ^(٣) ، وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا . يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا » ^(٤) .

إلى غير ذلك من الآياتِ الكريمةِ التي تشيرُ إلى إثباتِ إرادةِ الله تعالى وأنها فوقَ كلِّ إرادةٍ ومشِيئةٍ . « وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ^(٥) » .

٩ — قال الله تعالى : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ علم الله تعالى وما في الأرضِ وله الحمدُ في الآخرةِ وهو الحكيمُ الخبيرُ .

(١) « فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا » : أى ليناس رشدها . « ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا » : أى تطق صبراً عليه .

(٢) سورة الكهف آية ٨٢

(٣) « يَرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ » : أى شرائع دينكم ومصالح أمركم . « وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » : أى طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم .

(٤) سورة النساء آية ٢٦

(٥) سورة الدهر آية ٢٠

يَعْلَمُ مَا يَلْدِجُ فِي الْأَرْضِ ^(١) ، وما يخرجُ منها ، وما ينزلُ مِنَ
السَّمَاءِ وما يعرجُ فيها ، وهو الرحيمُ الغفورُ . وقال تعالى :
« يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » ^(٢) . وقال تعالى حكاية عن
لُقْمَانَ فِي وَصِيَّتِهِ لابنه : « يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي
الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » ^(٣) .

وقال تعالى في حكاية ما وقع بين شُعَيْبٍ وقومه : « قَالَ
الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا . قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا
كَارِهِينَ ! قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ
بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا ، وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

(١) « يعلم ما يلدج في الأرض » : أى يدخل فيها من ماء وغيره .
« وما يخرج منها » أى من نبات وغيره « وما ينزل من السماء » من
رزق وغيره . « وما يعرج فيها » أى يصعد فيها من الملائكة وأعمال
العباد . سورة سبأ آية ٢

(٢) « والله عليم بذات الصدور » : أى بما فيها من الأمور
والمعتقدات . سورة النجم آية ٤

(٣) سورة لقمان آية ١٦

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق^(١) وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ »
 وقال تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ^(٢) ، وَلَا خَمْسَةٍ
 إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ
 مَعَهُمْ أَيْنَا كَانُوا ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٣) . » وقال تعالى : « وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
 وَمَا تَتَلَوْنَهَا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ، وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
 عَلَيْكُمْ شُهُودًا^(٤) إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ، وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ
 مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ
 وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^(٥) . »

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة عَلَى سَعَةِ
 عِلْمِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَإِحَاطَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ ،
 دَقَّ أَوْ عَظُمَ .

(١) « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » : أى احكم . سورة
 الأعراف آية ٨٨

(٢) « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ » : أى بعلمه .

(٣) سورة المجادلة آية ٧

(٤) « إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا » : أى نعلمه . « إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ » :

أى تأخذون فيه . « وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ » : أى يغيب .

(٥) سورة يونس آية ٦١

١٠ — قال الله تعالى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم ^(١) » حياة الله تعالى

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ^(٢) . وقال تعالى : « اَلَمْ يَلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ^(٣) بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ^(٤) . وقال تعالى : « اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، ذَلِكَ اللهُ رَبُّكُمْ ، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٥) » .

إلى غير ذلك من آيات كثيرة تدل على أن الله تبارك وتعالى مُتَّصِفٌ بِالْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ التي ليس نَمٌّ أَوْ كَلٌّ مِنْهَا .

(١) « القيوم » : أى القائم بتدبير خلقه . « لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ » السنة بكسر السين : النعاس .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) « نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ » : أى القرآن « مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ » : أى لما قبله من الكتب المنزلة . « وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ » : أى الكتب الفارقة بين الحق والباطل .

(٤) سورة آل عمران آية ٤

(٥) سورة غافر آية ٦٥

١١، ١٢ — قال الله تعالى : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ^(١) فِي زَوْجِهَا ، وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ؛ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » . وقال تعالى : « أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ! أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى ! أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ! أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ! ^(٢) » . وقال تعالى لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون : « أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى . قَالَا : رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ^(٣) أَوْ أَنْ يَطْغَى . قَالَ : لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى » . وقال تعالى : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ^(٤) وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ^(٥) » .

- (١) « قد سمع الله قول التي تجادلك » : أى تراجعك « والله يسمع تحاوركما » : أى تراجعكما . سورة المجادلة آية ١
(٢) سورة العلق آية ١٤
(٣) « قالا : ربنا لمننا نخاف أن يفراط علينا » : أى يجعل بالعقوبة .
« أو أن يطغى » علينا : أى يتكبر . سورة طه آية ٤٦ .
(٤) « يعلم خائنة الأعين » : أى بمسارقتها النظر إلى محرم . « وما تخفي الصدور » : أى القلوب .
(٥) سورة غافر آية ٢٠

إلى غير ذلك من الآيات التي تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بالسمع والبصر .

كلام الله تعالى ١٣ — قال الله تعالى : « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ^(١) » وقال تعالى : « أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ^(٢) اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ^(٣) » .

إلى غير ذلك من الآيات التي تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بصفة الكلام .

وصفات الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم كثيرة ، وكلماته تبارك وتعالى لا تنتهى ، ولا تدرك كُنْهها عقول البشر ، سبحانه لا يحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه .

بين صفات الله وصفات الخلق

والذى يجب أن يتفطن له المؤمن أن المعنى الذى يُقصد باللفظ في صفات الله تبارك وتعالى يختلف اختلافًا كليًا عن المعنى الذى يقصد بهذا اللفظ عينه في صفات الخلق .

(١) سورة النساء ١٦٤

(٢) « يسمعون كلام الله » : أى التوراة . « ثم يحرفونه » : أى يغيرونه . « من بعد ما عقلوه » : أى فهموه .

(٣) سورة البقرة آية ٧٥

فَأَنْتَ تَقُولُ : اللهُ عَالِمٌ وَالْعِلْمُ صِفَةُ اللهِ تَعَالَى ، وَتَقُولُ : فُلَانٌ عَالِمٌ وَالْعِلْمُ صِفَةُ فُلَانٍ مِنَ النَّاسِ ، فَهَلْ مَا يَقْصَدُ بِلَفْظَةِ الْعِلْمِ فِي التَّرْكِيبَيْنِ وَاحِدٌ ؟ حَاشَا أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ ؛ وَإِنَّمَا عِلْمُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِلْمٌ لَا يَتَنَاهَى كَمَالَهُ وَلَا يُعَدُّ عِلْمُ الْمَخْلُوقِينَ شَيْئًا إِلَى جَانِبِهِ . وَكَذَلِكَ الْحَيَاةُ ، وَكَذَلِكَ السَّمْعُ ، وَكَذَلِكَ الْبَصَرُ ، وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ ، وَكَذَلِكَ الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ . فَهَذِهِ كُلُّهَا مَدْلُولَاتُ الْأَلْفَاظِ فِيهَا تَخْتَلِفُ عَنْ مَدْلُولَاتِهَا فِي حَقِّ الْخَلْقِ مِنْ حَيْثُ الْكَمَالُ وَالْكَفِيَّةُ اخْتِلَافًا كَلِّيًّا ؛ لِأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَشْبَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ . فَتَنْطَفِنُ لِهَذَا الْمَعْنَى فَإِنَّهُ دَقِيقٌ . وَلَسْتَ مُطَالِبًا بِمَعْرِفَةِ كُنْهَيْهَا ، وَإِنَّمَا حَسْبُكَ أَنْ تَعْلَمَ آثَارَهَا فِي الْكَوْنِ وَلَوَازِمَهَا فِي حَقِّكَ . وَاللَّهُ نَسْأَلُ الْعَصْمَةَ مِنَ الزَّلَلِ وَحَسَنَ التَّوْفِيقِ .

الرُّدَّةُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْمَنْطِقِيَّةُ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى

صفات الله
والعقل

يَعْمِدُ عُلَمَاءُ الْعَقَائِدِ إِلَى إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَدَلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ ، وَأَقْيَسَةِ مَنْطِقِيَّةٍ ؛ وَنَحْنُ نَقُولُ : إِنْ ذَلِكَ حَسَنٌ ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ أَسَاسُ الْمَعْرِفَةِ ، وَمَنْطَاقُ التَّكْلِيفِ ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ فِي نَفْسِ أَحَدٍ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الشُّبُهَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ ؛ وَلَكِنْ الْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ ذَلِكَ ، وَوُجُودُ الْخَالِقِ تَبَارَكَ

وتعالى وإثباتُ صفاتِ الكمالِ المطلقِ له صار في حكم
البدهيّات التي لا يُحتَاجُ في إثباتِها إلى دليلٍ أو برهانٍ ،
ولا يطالب بالدليل عليها إلا كلُّ مكابرٍ مريضٍ القلبِ
لا يُجَدِّيه دليلٌ ، ولا تنفع معه حُجَّةٌ ؛ ومع هذا فبتميمِ
للفائدة نذكر بعضَ الأدلةِ العقليةِ الإجماليةِ والتفصيليةِ ،
فنقولُ :

الدليل الأول : هذا الوجودُ الذي يدل بعظمته وإحكامه
على وجودِ خالقه وعظمته وكَماله .

الدليل الثاني : أن فاقَدَ الشيء لا يعطيه ، فإذا لم يكن
موجدُ هذا الكونِ متصفاً بصفاتِ الكمالِ فكيف تكونُ
آثارُ هذه الصفاتِ في مخلوقاته .

الدليل الثالث ، وهو خاصٌّ بأن هذا الخالقَ واحدٌ
لا يتعدد : أن التعدُّدَ مدعاةُ الفسادِ والخلافِ والعلوِّ ولا سيما
وشأنُ الألوهيةِ الكبرياءِ والعظمةِ ؛ وأيضاً فلو استقلَّ أحدُ
المتعددين بالتصرفِ تعطلتْ صفاتُ الآخرين ، ولو اشتركوا
تعطلتْ بعضُ صفاتِ كلِّ منهم ، وتعطيلُ صفاتِ الألوهيةِ
ينتافي مع جلالها وعظمتها ، فلا بد أن يكون الإلهُ واحداً
لا ربَّ غيره .

هذه نماذج من الأدلة المنطقية على وجود الخالق ،
وإثبات صفاته . ومن أراد الاستيعاب فعليه بالمطولات .
على أن الأمر مركوز في فطر النفوس الصافية ، مستقر
في أعماق القلوب السليمة « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ
مِنْ نُورٍ » .

سؤال يقف أمامه كثير من الناس

دفع الحواطر
والوسوسة

ورد في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس يتساءلون حتى
يقال هذا : خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من
ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله^(١) » رواه مسلم .

وهذا السؤال وإن كان خطأ من أساسه ؛ لأننا أمرنا ألا
نبحث في ذات الله تبارك وتعالى ؛ لأن عقولنا القاصرة التي

(١) قال الإمام المازري : ظاهر الحديث أنه صلى الله عليه وسلم
أمرهم أن يدفعوا الحواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر
في إبطالها . قال : والذي يقال في هذا المعنى أن الحواطر على قسمين فأما التي
ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها وعلى
هذا يحمل الحديث ، وعلى مثلها يطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لما كان
أمرهم طارئاً وبغير أصل دفع بغير نظر في دليل ، إذ لا أصل له ينظر فيه .
وأما الحواطر المستقرة التي اجتلبتها شبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر
في إبطالها ، والله أعلم .

تعجز عن إدراك حقيقة نفسها تعجز من باب الأولى ، عن إدراك حقيقة ذات الله تبارك وتعالى ، إلا أنه يخلج في نفوس بعض الناس ، ونريد أن نوضح لهم الجواب عليه بمثال يريح ضمائرهم ، إن شاء الله تعالى ، فنقول :

إذا وضعت كتاباً على مكتبك ثم خرجت من الحجرة وعدت إليها بعد قليل فرأيت الكتاب الذي تركته على المكتب موضوعاً في الدرج فإنك تعتقد تماماً أن أحداً لا بد أن يكون قد وضعه في الدرج ؛ لأنك تعلم من صفات هذا الكتاب أنه لا ينتقل بنفسه . احفظ هذه النقطة وانتقل معي إلى نقطة أخرى : لو كان معك في حجرة مكتبك شخص جالس على الكرسي ثم خرجت وعدت إلى الحجرة فرأيت جالساً على البساط مثلاً فإنك لا تسأل عن سبب انتقاله ، ولا تعتقد أن أحداً نقله من موضعه ؛ لأنك تعلم من صفات هذا الشخص أنه ينتقل بنفسه ولا يحتاج إلى من ينقله . احفظ هذه النقطة الثانية ثم اسمع ما أقول لك : لما كانت هذه المخلوقات محدثة ونحن نعلم من طبائعها وصفاتها أنها لا توجد بذاتها بل لابد لها من موجد ، عرفنا أن موجدها هو الله تبارك وتعالى ؛ ولما كان كمال الألوهية يقتضي عدم احتياج الإله إلى غيره ، بل إن من صفاته قيامه

بنفسه ، عرفنا أن الله تبارك وتعالى موجود بذاته وغير محتاج
إلى من يوجده . وإذا وضعت النقطتين السابقتين إلى جانب
هذا الكلام ، اتضح لك هذا المقام ، والعقل البشري أقصر
من أن يتورط في أكثر من ذلك . والله نسأل العِصمة من
الزَّلَل ؛ إنه رءوف رحيم .

وإليك أقوال علماء الأوربيين في إثبات وجود الله تعالى
والإقرار بكمال صفاته ، والله وليُّ توفيقنا وتوفيقك :

كلام العلماء الطبيعيين في إثبات وجود الله وصفاته

الطبيعيون
وجود الله

قدمنا لك أن هذه العقيدة فطرية في النفوس السليمة ،
مستقرة في الأذهان الصافية ، تكاد تكون من بدهيات المعلومات
تؤيدها نتائج العقول جيلا بعد جيل ، ولذلك اعتقدها علماء
الكون من الأوربيين وغيرهم وإن لم يتلقوها عن دين من
الأديان ؛ وسنقل لك بعض شهاداتهم ، لا تأييداً للعقيدة ،
ولكن إثباتاً لاستقرارها في النفوس ، وقطعاً لألسنة الذين
يريدون أن يتحللوا من عقدة العقائد ، ويخادعوا ضمائرهم
وأرواحهم بالباطل !

١ — قال ديكارت العالم الفرنسي :

« إني مع شعوري بنقص ذاتي أحس في الوقت نفسه شهادة ديكارت

بوجوب وجود ذاتٍ كاملةٍ ، وأراني مضطراً للاعتقاد بأن هذا الشعور قد غرسه في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال ، وهي : الله » .

فهو يثبت في كلامه هذا ضعف نفسه ونقصها ، ووجود الله وكأله ، ويعترف بأن شعوره وإحساسه هبةً من الله له وفطرةً فيه « فطرة الله التي فطر الناس عليها ^(١) » .

٢ — وقال إسحاق نيوتن العالم الإنجليزى الشهير ، ومكتشف قانون الجاذبية :

« لا تشكوا فى الخالق فإنه مما لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هى قاعدة هذا الوجود » .

شهادة
إسحاق نيوتن

٣ — وقال هرشل الفلكى الإنكليزى :

« كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالقٍ أزلى لا حد لقدرته ولا نهاية ؛ فالجيولوجيون والرياضيون ، والفلكيون ، والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم ، وهو صرح عظمة الله وحده » .

شهادة هرشل

٤ — وقال لينيه ، كما نقله عنه كاميل فلامريون الفرنسى

فى كتابه المسمى « الله فى الطبيعة » :

« إِنَّ اللَّهَ الْأَزَلِّيَّ الْأَبَدِيَّ الْعَالِمَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالْمُقْتَدِرَ شَهَادَةُ لَيْفِيهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، قَدْ تَجَلَّى لِي بِبِدَائِعِ صُنْعِهِ حَتَّى صِرْتُ مِنْدَهْشًا مَبْهُوتًا ؛ فَأَيُّ قُدْرَةٍ وَأَيُّ حِكْمَةٍ وَأَيُّ إِبْدَاعٍ أَبْدَعَهُ فِي مَصْنُوعَاتِهِ ! سِوَاءٍ فِي أَصْغَرِ الْأَشْيَاءِ أَوْ أَكْبَرِهَا ! إِنْ الْمَنَافِعَ الَّتِي نَسْتَمِدُّهَا مِنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ تَشْهَدُ بِعَظَمَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّذِي سَخَّرَهَا لَنَا ، كَمَا أَنَّ كَلَامَهَا وَتَنَاسُطَهَا يَنْبِئُ بِوَسْعِ حِكْمَتِهِ ، وَكَذَلِكَ حَفَظَهَا عَنْ التَّلَاشِي وَتَجَدُّدِهَا يَقَرُّ بِجَلَالَتِهِ وَعَظَمَتِهِ » .

٥ — ويقول « هربرت سبنسر الانجليزى » فى هذا المعنى
شهادة
هربرت سبنسر
فى رسالته فى التربية :

« الْعِلْمُ يَنَاقِضُ الْخُرَافَاتِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَنَاقِضُ الدِّينَ نَفْسَهُ : يَوْجَدُ فِي شَيْءٍ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ الشَّائِعِ رُوحُ الزُّنْدَقَةِ ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ الَّذِي فَاتَ الْمَعْلُومَاتِ السُّطْحِيَّةَ ، وَرَسَبَ فِي أَعْمَاقِ الْحَقَائِقِ ، بَرَاءٌ مِنْ هَذِهِ الرُّوحِ . الْعِلْمُ الطَّبِيعِيُّ لَا يَنَافِي الدِّينَ ، وَالتَّوَجُّهُ لِلْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ عِبَادَةٌ صَامِتَةٌ (١) وَاعْتِرَافٌ صَامِتٌ بِنَفَاسَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَايَنُ وَتَدْرُسُ ، ثُمَّ بِقُدْرَةِ خَالِقِهَا ، فَلَيْسَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ تَسْبِيحًا شَفِهًا ، بَلْ هُوَ

(١) وَقَدْ أَشَارَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سَبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » الْمَوْلَف .

تسبيحٌ عمليٌّ ، وليس باحترامٍ مدعى ، إنما هو احترامٌ
أثمرته تضحيةُ الوقتِ والتفكيرِ والعملِ . وهذا العلمُ لا يسلكُ
طريقَ الاستبدادِ في تفهيمِ الإنسانِ استحالةَ إدراكِ السببِ
الأوّلِ وهو « الله » ، ولكنه يُنهجُ بنا النهجَ الأوضحَ
في تفهيمنا الاستحالةَ ، بإبلاغنا جميعَ أنحاءِ الحدودِ التي
لا استطاعَ اجتيازُها ، ثم يقفُ بنا ، في رفقٍ وهوادةٍ ،
عند هذه النهايةِ ؛ وهو بعد ذلك يُرينا بكيفيةٍ لا تعادلُ
صِغَرَ العقلِ الإنسانيِّ إزاءَ ذلك الذي يفوتُ العقلَ
ثم أخذَ يضربُ الأمثلةَ على ما يقولُ فقال : « إنَّ العالمَ
الذي يرى قطرةَ الماءِ فيعلمُ أنها تتركبُ من الأوكسجينِ
والإيدروجينِ بنسبةٍ خاصةٍ ، بحيث لو اختلفت هذه النسبةُ
لكانت شيئاً آخرَ غيرَ الماءِ ، يعتقدُ عظمةَ الخالقِ وقُدْرَتَهُ
وحكمتَهُ وعِلْمَهُ الواسعَ بأشدَّ وأعظمَ وأقوى من غيرِ العالمِ
الطبيعيِّ الذي لا يرى فيها إلا أنها قطرةُ ماءٍ خسب ، وكذلك
العالمُ الذي يرى قطعةَ البَرَدِ ^(١) فيرى تحتَ مجهرِهِ ^(٢) ما فيها
من جمالِ الهندسةِ ، ودقةِ التقسيمِ ، لاشك أنه يشعرُ بجمالِ

(١) أى قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطراً . المؤلف .

(٢) المجهر : للنظر المكبر . المؤلف .

الخالق ودقيق حكمته أكبر من ذلك الذي لا يعلم عنها إلا أنها
مطرته تجمد من شدة البرد .

وأقول علماء الكون في ذلك لا تقع تحت حصر ، وفيما
ذكرناه الكفاية . وإنما استشهدنا بذلك حتى يعلم
شبابنا أن دينهم مؤيد من عند الله تبارك وتعالى ، لا يزيده
العلم إلا قوة وثباتاً وتأيداً ، مصداقاً لقول الله تعالى :
« سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْحَقُّ ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » (١) .

آيات الصفات وأمازيها

وردت في القرآن الكريم آيات في السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ
وأحاديثها
أحاديث توهيم بظاهرها مشابهة الحق تبارك وتعالى خَلْقِهِ
في بعض صفاتهم ، نُورِدُ بعضها على سبيل المثال ، ثم نُقَفِّ
بذكر ما ورد فيها من الأقوال . والله نَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَنَا إِلَى
بيان وجه الحق في هذه المسألة ، التي طال فيها جدل الناس
ونقاشهم إلى هذا العصر ، وَأَنْ يُجَنِّدَنَا الزَّلَلَ ، وَيُلْهِمَنَا
الصَّوَابَ ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

نماذج من آيات الصفات

من آيات
الصفات

١ — قال الله تعالى : « كلُّ مَنْ عليها فان^(١) ،
ويبقى وجهُ ربِّكَ ذو الجلالِ والإِكرامِ » .
ومثلها كل آيةٍ وردَ فيها لفظُ الوجهِ مضافاً إلى الحقِّ
تبارك وتعالى .

٢ — قال الله تعالى : « ولقد مَنَّا عليك مرةً
أخرى ؛ إذْ أَوْحينا إلى أُمِّكَ ما يُوحَى : أنْ اقذفيه في
التابوتِ فاقدِّفيه في اليمِّ^(٢) ، فليلقِه اليمُّ بالساحلِ يأخذهُ
عدوُّ لى وعدوُّ له ، وألقيتُ عليك محبةً منى ، ولتُصنَعْ
على عيني » . وقال تعالى : « وأَوْحىَ إلى نوحَ أنه
لنْ يؤمنَ من قومِكَ إلا مَنْ قد آمنَ فلا تبتئسْ^(٣)

(١) « كل من عليها » : أى على الأرض « فان » : أى هالك .
« ويبقى وجه ربك » : أى ذاته . قال الزحمرى : والوجه يعبر به عن
الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربى كريم ينقذنى
من الهوان . سورة الرحمن آية ٢٧

(٢) « فاقدِّفه في اليم » : أى في نهر النيل . « فليلقه اليم بالساحل » :
أى بالشاطئ . « ولتصنع على عيني » : أى تربى على رعايتى وحفظى لك .
سورة طه آية ٣٩

(٣) « فلا تبتئس » أى فلا تحزن . « واصنع الفلك بأعيننا » : أى
بمرأى منا وحيث نراك . وقال الربيع بن أنس : بحفظنا وإياك حفظ من
يراك . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : بحراستنا .

بما كانوا يفعلون . واصنع الفلك بأَعْيُنِنَا ووحينا ، ولا تخاطبني
في الذين ظلموا إنهم مُّعْرَقُونَ^(١) » .

ومثلها كل آية ورد فيها لفظ العين مضافاً إلى الله
تبارك وتعالى .

٣ — قال الله تعالى : « إن الذين يبايعونك^(٢)
إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم ، فمن نكثَ
فإنما ينكثُ على نفسه ، ومن أوفى بما عاهدَ عليه الله
فسيؤتيه أجراً عظيماً » . وقال تعالى : « وقالت اليهودُ
يدُ الله مغلولَةٌ^(٣) غُلَّتْ أيديهم وأَعِنُوا بما قالوا ، بل
يداه مبسوطتان ينفقُ كيف يشاء » . وقال تعالى :

(١) سورة هود آية ٣٧

(٢) « إن الذين يبايعونك » : أي بيعة الرضوان . « يدُ الله فوق
أيديهم » : أي التي يبايعونها النبي صلى الله عليه وسلم : أي هو مطلع على
مبايعتهم فيجازيهم عليها . « فمن نكثَ فإنما ينكثُ على نفسه » : أي
فمن نقض البيعة فإنما يرجع وبال نقضه على نفسه . سورة الفتح آية ١٠

(٣) « وقالت اليهود يدُ الله مغلولَةٌ » : أي مقبوضة عن إدرار
الرزق علينا ، كنوا بذلك عن البخل تعالى الله عن ذلك . « غُلَّتْ أيديهم » :
أي أمسكت عن فعل الخيرات . « بل يداه مبسوطتان » : مبالغة في الوصف
بالجود ، وثني اليد لإفادة الكثرة ؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن
يعطى يديه . سورة المائدة آية ٦٤

« أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ ^(١) أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ » .

٤ — قال الله تعالى : « لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ، وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ^(٢) » وإلى الله المصير . وقال تعالى : « وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ . قَالَ : سُبْحَانَكَ ! مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ^(٣) ؛ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ » .
٥ — قال الله تعالى : « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ^(٤) »

(١) « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا : أَى أَبْدَعْنَاهُ وَعَمَلْنَاهُ بِلَا شَرِيكَ وَلَا مَعِين . وَالْأَنْعَامُ هِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ . سُورَةُ يَسْ آيَةُ ٧١ »

(٢) « وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ » أَى يَخُوفُكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ . آلْ عِمْرَانَ آيَةُ ٢٨
(٣) « تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ » : أَى تَعْلَمُ سَرِي وَمَا انطوى عَلَيْهِ ضَمِيرِي الَّذِي خَلَقْتَهُ ، وَلَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِمَّا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ مِنْ غَيْبِكَ وَعِلْمِكَ . سُورَةُ الْمَائِدَةِ آيَةُ ١١٦ »

(٤) « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » : الْعَرْشُ سَرِيرُ الْمَلِكِ . وَاسْتَوَى قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرُهُ : اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِغَيْرِ حَدٍّ وَلَا كَيْفٍ كَمَا يَكُونُ اسْتِواءُ الْخُلُوقِينَ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يَرِيدُ : خَلَقَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَأَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبَعْدَ الْقِيَامَةِ . طه آيَةُ ٥ »

ومثلها كل آية نُسب فيها الاستواء على العرش إلى الله تبارك وتعالى .

٦ — قال الله تعالى : « وهو القاهرُ فوق عبادِهِ ^(١) »
ويرسلُ عليكم حفظةً حتى إذا جاء أحدكم الموتُ
توفَّتْهُ رُسُلُنَا وهم لا يفرطون » . وقال تعالى : « أأمنتم
مَنْ فِي السَّمَاءِ ^(٢) » أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ »
وقال تعالى : « مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ
يَصْعَدُ الْكَلِمُ ^(٣) الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ » .
مما يؤخذ منه نسبةُ الجهة لله تبارك وتعالى .

(١) « وهو القاهر فوق عبادِهِ » قال القرطبي : القهر : الغلبة والقاهر
الغالب . ومعنى « فوق عبادِهِ » فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم : أى
هم تحت تسخيرهِ لا فوقية مكان . كما تقول السلطان فوق رعيته أى بالمرتبة
والرفعة . « ويرسلُ عليكم حفظةً » : أى ملائكة تحصى أعمالكم « توفته
رسلنا » أى الملائكة الموكلون بقبض الأرواح . سورة الأنعام آية ٦١
(٢) « أأمنتم من فِي السَّمَاءِ » أى أأمنتم من فِي السماء سلطانه وقدرته .
قال القرطبي : وخص السماء وإن عم ملكه ، تنبيها على أنه الإله الذى
تنفذ قدرته فى السماء لا من يعظمونه فى الأرض « فَإِذَا هِيَ تَمُورُ » :
أى تذهب وتجيء . سورة الملك آية ١٦

(٣) « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ » : أى إلى الله تبارك وتعالى يصعد
الكلم الطيب : أى يعلمه « وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ » : أى يرفعه الله :
أى يقبله . والكلم الطيب : هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة . « وَمَكْرُ
أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ » : أى يهلك . سورة فاطر آية ١٠

٧ — قال الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا » .
وقال تعالى : « وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا صَفَاتُهَا ، وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ » (١) . وقال تعالى : « كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » (٢) .

نماذج من أماري الصفات

وردت في الأحاديث الشريفة ألفاظٌ كالتى وردت في الآيات السابقة ، منسوبةٌ إلى الله تبارك وتعالى : كالوجه

من أحاديث
الصفات

(١) « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ هُمُ الْكَافِرُونَ يَصِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا هُوَ مِنْزَعٌ عَنْهُ مِنَ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ وَيَكْذِبُونَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . سورة الأحزاب آية ٥٧ »

(٢) « الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا » أى حفظته عن الفواحش « فَنَفَخْنَا فِيهِ » : أى أرسلنا جبريل فنفخ في جيبها « مِنْ رُوحِنَا » أى روحاً من أرواحنا وهى روح عيسى عليه السلام « وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا » : أى بشرائعه « وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ » : أى من المطيعين . سورة التجرىم آية ١٢

(٣) « دَكَا دَكَا » : أى مرة بعد مرة وزلزلت فكسر بعضها بعضاً فتكسر كل شىء على ظهرها « وَجَاءَ رَبُّكَ » أى أمره وتضاؤه « وَالْمَلَكُ » أى الملائكة « صَفًّا صَفًّا » : أى صفوفاً . سورة الفجر آية ٢٢

واليد ، ونحوهما ، فنكتفي بالآيات عن ذكرها ؛ وورد في
أحاديث كثيرة ألفاظ أخرى من هذا القبيل منسوبة إلى
ذات الله تبارك وتعالى نورد بعضها ؛ فمن ذلك :

١ — عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « خلق الله آدم على صورته ^(١) طوله
ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك —
ففر من الملائكة جلوس — فاستمع ما يحوونك فإنها تحييتك
وتحيية ذريتك ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك
ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة
على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن »
رواه البخاري ومسلم .

٢ — عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها
وتقول : هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه ^(٢) »

(١) « على صورته » أى على صورة آدم عليه السلام . قال الحافظ
العسقلاني : المعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التى خلقه عليها لم يتقل في
النشأة أحوالا ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته ، بل خلقه الله رجلاً
كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح .

(٢) « حتى يضع رب العزة فيها قدمه » . قال الزمخشري : وضع
القدم على الشيء مثل الردع والقمع فكأنه قال : يأتيها أمر الله فيكفها =

فينزوي بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضلٌ حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » رواه البخاري ومسلم .

٣ — عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لله أشدُّ فرحاً ^(١) بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها » رواه البخاري ومسلم .

انقسم الناس في هذه المسألة على أربع فرق :

١ — فرقة أخذت بظواهرها كما هي ، فنسبت إلى الله وجهاً كوجوه الخلق ، ويداً أو أيدياً كأيديهم ، وضحكاً كضحكهم ، وهكذا حتى فرضوا الإله شيئاً ، وبعضهم فرضه شاباً ، وهؤلاء هم المجسِّمة والمشبَّهة ، وليسوا من الإسلام في شيء ، وليس لقولهم نصيبٌ من الصحة ، ويكفي

المجسمة
وآيات الصفات
وأحاديثها

== عن طلب المزيد فتردد . وقوله صلى الله عليه وسلم : « فينزوي بعضها إلى بعض » أى ينقبض بعضها إلى بعض « وتقول قط قط » : أى تقول حسبي حسبي .

(١) « لله أشدُّ فرحاً » . قال النووي : قال المازري : الفرح ينقسم على وجوه : منها المرور ، والسرور يقاربه الرضا بالمرور به ، فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده أشدَّ مما يرضى واجد ضالته ، فغير عن الرضا بالفرح تأكيذاً لمعنى الرضا في نفس السامع ومبالغة في تقريره .

في الردِّ عليهم قولُ الله تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »^(١) . وقوله تعالى : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » .

٢ — فرقة عطّلت معاني هذه الألفاظ على أيِّ وجهٍ ، يقصدون بذلك نفى مدلولاتها مطلقاً عن الله تبارك وتعالى ، فالله تبارك وتعالى عندهم لا يتكلّم ولا يسمع ولا يبصر ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بجارحةٍ والجوارح يجب أن تُنفى عنه سبحانه ؛ فبذلك يعطّلون صفات الله تبارك وتعالى ويتظاهرون بتقديسه ، وهؤلاء هم المعطّلة . ويطلق عليهم بعض علماء تاريخ العقائد الإسلامية : الجُهميّة ، ولا أظن أن أحداً عنده مُسكّةٌ من عقلٍ يستسيغ هذا القول المتهافِت ! وهاقد ثبت الكلامُ والسمعُ والبصرُ لبعض الخلائق بغير جارحةٍ ، فكيف يتوقّف كلامُ الحقّ تبارك وتعالى على لجوارح ؟ ! تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

هذان رأيان باطلان لاحتّ لهما من النظر ، وبقي أمامنا رأيان هما محلُّ أنظار العلماء في العقائد ، وهما رأى السلف ورأى الخلف .

(١) سورة الشورى آية ١١

مذهب السلف والخلف في آيات الصفات وأحاديثها

٣ — أما السلف رضوان الله عليهم فقالوا : نؤمن بهذه الآيات والأحاديث كما وردت ، ونترك بيان المقصود منها لله تبارك وتعالى ، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواء والضحك والتعجب . . . الخ وكل ذلك بمعانٍ لا ندرکها ، ونترك لله تبارك وتعالى الإحاطة بعلمها ، ولا سيما وقد نهينا عن ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروه قدره » . قال العراقي : رواه أبو نعيم في « الحلية » بإسناد ضعيف ، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك مع قطعهم رضوان الله عليهم بانتفاء المشابهة بين الله وبين الخلق . وإليك أقوالهم في ذلك : (١) روى أبو القاسم اللالكائي في « أصول السنة » عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما قال : « اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئاً

السلف
وآيات الصفات
وأحاديثها

الإمام محمد
وآيات الصفات
وأحاديثها

من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة ؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا .

الإمام أحمد
وآيات الصفات
وأحاديثها

(ب) وذكر الخلال في كتاب « السنة » عن حنبلٍ وذكره حنبلٌ في كتبه مثل كتاب « السنة والحنّة » قال حنبلٌ : « سألتُ أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى « إن الله تبارك وتعالى ينزلُ إلى سماء الدنيا . » و « إن الله يرى » و « إن الله يضع قدمه » وما أشبه هذه الأحاديث ؟ فقال أبو عبد الله : نُؤْمِنُ بِهَا وَنُصَدِّقُ بِهَا وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى وَلَا نَرِدُّ مِنْهَا شَيْئًا ، ونعلمُ أن ما جاء به الرسولُ صلى الله عليه وسلم حقٌّ إذا كان بأسانيدٍ صحاح ، ولا نردُّ على الله قوله ، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غايةٍ ، ليسَ كمثلِهِ شَيْءٌ » .

الإمام مالك
وآيات الصفات
وأحاديثها

(ج) وروى حرّملة بن يحيى قال : سمعتُ عبد الله ابنَ وهبٍ يقولُ : سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ : مَنْ وصف شيئاً من ذات الله مثل قوله : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ^(١) » فأشار بيده إلى عنقه ، ومثل قوله

« وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ^(١) » فَأشار إلى عَيْنِهِ أَوْ أذُنِهِ أَوْ شَيْءٍ
من يديه ، قطع ذلك منه ؛ لَأَنَّهُ شَبَّهَ اللَّهَ بِنَفْسِهِ . ثُمَّ قَالَ
مَالِكُ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْبَرَاءِ حِينَ حَدَّثَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَضْحَى بِأَرْبَعٍ مِنَ الضُّحَايَا وَأَشَارَ الْبَرَاءُ بِيَدِهِ
كَأَنَّ أَشَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ الْبَرَاءُ : وَيَدِي
أَقْصَرُ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَرِهَ الْبَرَاءُ
أَنْ يَصِفَ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجْلَالاً لَهُ
وَهُوَ مَخْلُوقٌ ، فَكَيْفَ الْخَالِقُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؟ !

(د) وَرَوَى أَبُو بَكْرِ الْأَثْرَمُ ، وَأَبُو عَمْرٍو الطَّلَسَنِيُّ
وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةَ فِي كُتُبِهِمْ وَغَيْرُهُمْ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونَ كَلَامًا طَوِيلًا
فِي هَذَا الْمَعْنَى خْتَمَهُ بِقَوْلِهِ : « فَمَا وَصَفَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ
فَسَمَاهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ سَمِينَاهُ كَمَا سَمَاهُ ، وَلَمْ تَتَكَلَّفْ مِنْهُ
صِفَةً مَا سِوَاهُ ، لَا هَذَا وَلَا هَذَا ، لَا نَجْعِدُ مَا وَصَفَ ،
وَلَا نَتَكَلَّفُ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفَ » .

الماجشون
وآيات الصفات
وأحاديثها

اعلم ، رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَنَّ الْعِصْمَةَ فِي الدِّينِ أَنْ تَنْتَهِيَ
حَيْثُ انْتَهَى بِكَ ، وَلَا تَجَاوِزَ مَا قَدْ حُدَّ لَكَ ؛ فَإِنَّ مِنْ قَوَامِ

الَّذِينَ مَعْرِفَةُ الْمَعْرُوفِ ، وَإِنْكَارَ الْمُنْكَرِ ، فَمَا بَسَطَتْ عَلَيْهِ
 الْمَعْرِفَةُ ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ الْأَفْئِدَةُ ، وَذَكَرَ أَصْلَهُ فِي الْكِتَابِ
 وَالسُّنَّةِ ، وَتَوَارَثَ عِلْمُهُ الْأُمَّةُ فَلَا تَخَافَنَّ فِي ذِكْرِهِ وَصْفَتِهِ
 مِنْ رَبِّكَ مَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ عَيْنًا ، وَلَا تَكْلَفَنَّ بِمَا
 وَصَفَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا ، وَمَا أَنْكَرْتَهُ نَفْسُكَ ، وَلَمْ تَجِدْ ذِكْرَهُ
 فِي كِتَابِ رَبِّكَ ، وَلَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ نَبِيِّكَ مِنْ ذِكْرِ
 صِفَةِ رَبِّكَ فَلَا تَتَكَلَّفَنَّ عِلْمَهُ بِعَقْلِكَ ، وَلَا تَصِفْهُ بِلِسَانِكَ ،
 وَاصْمُتْ كَمَا صَمَتَ الرَّبُّ عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ ؛ فَإِنَّ تَكْلَفَكَ
 مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ بِهِ نَفْسَهُ مِثْلَ إِنْكَارِكَ مَا وَصَفَ مِنْهَا ،
 فَكَمَا أَعْظَمْتَ مَا جَعَدَ الْجَاهِدُونَ مِمَّا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ ،
 فَكَذَلِكَ أَعْظَمْتَ تَكْلَفَ مَا وَصَفَ الْوَاصِفُونَ مِمَّا لَمْ يَصِفْ
 مِنْهَا ، فَقَدْ وَاللَّهِ ، عَزَّ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْمَعْرُوفَ
 وَبِمَعْرِفَتِهِمْ يَعْرِفُ ، وَيُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ وَيَأْنِكِرُهُمْ يَنْكُرُ ،
 يَسْمَعُونَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا فِي كِتَابِهِ ، وَمَا يَبْلُغُهُمْ
 مِثْلُهُ عَنْ نَبِيِّهِ ، فَمَا مَرَضَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا وَتَسْمِيَتِهِ مِنَ الرَّبِّ
 قَلْبُ مُسْلِمٍ ، وَلَا تَكْلَفُ صِفَةَ قُدْرِهِ ، وَلَا تَسْمِيَةَ غَيْرِهِ مِنَ
 الرَّبِّ مُؤْمِنٌ ، وَمَا ذَكَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ سَمَاءُ مِنْ صِفَةِ رَبِّهِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَا سَمَّى وَوَصَفَ الرَّبُّ

تعالى من نفسه ، والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، الواقِفُونَ حَيْثُ
انتهى بهم علمهم ، الواصِفُونَ لربهم بما وصفَ نفسه ،
التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ماسمى منها
جَحداً ، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسمَ تعمقاً ؛ لأن الحق
ترك ما ترك وسمى ماسمى « وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى ، وَنُؤَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » وهَبَ اللهُ
لنا ولكم حكماً ، وألحقنا بالصالحين .

مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها

قدمتُ لك أَنَّ السلفَ ، رضوانُ الله عليهم ، يؤمنون
بآياتِ الصفاتِ وأحاديثِها كما وردت ويتركون بيان المقصودِ
منها لله تبارك وتعالى مع اعتقادهم بتنزيه الله تبارك وتعالى
عن المشابهة لخلقهِ .

الخلف
وآيات الصفات
وأحاديثها

فأما الخلفُ فقد قالوا : إننا نقطعُ بأن معاني ألفاظِ
هذه الآياتِ والأحاديثِ لا يرادُ بها ظواهرُها ، وعلى ذلك
فهى مجازاتٌ لا مانع من تأويلها ، فأخذوا يؤوِّلون الوجهَ
بالذاتِ واليدَ بالقدرةِ وما إلى ذلك ؛ هرباً من شبهةِ
التشبيه . وإليك نماذج من أقوالهم في ذلك :

١ — قال أبو الفرج بنُ الجوزي الحنبليُّ في كتابه

« دفع شبهة التشبيه » : قال الله تعالى : « ويبقى وجهُ ربِّكَ ^(١) » قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذلك قالوا في قوله تعالى : « يريدونَ وجهَهُ ^(٢) » : أى يريدونه . وقال الضحَّاكُ وأبو عبيدة : « كلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ^(٣) » أى إلا هو .

وعقد فى أول الكتاب فصلاً ضافياً فى الرد على من قالوا إن الأخذَ بظاهرِ هذه الآياتِ والأحاديثِ هو مذهبُ السلفِ ؛ وخلاصةُ ما قاله أن الأخذَ بالظاهرِ هو تجسيمٌ وتشبيهٌ ؛ لأن ظاهرَ اللفظِ هو ما وُضعَ له ، فلا معنى للبد حقيقةً إلا الجارحة ، وهكذا . وأما مذهبُ السلفِ فليس أخذها على ظاهرِها ، ولكن السكوتُ جملةً عن البحثِ فيها . وأيضاً فقد ذهبَ إلى أن تسميتها آياتِ صفاتٍ وأحاديثِ صفاتٍ تسمية مبتدعة لم ترد فى كتاب ولا فى سنة ، وليست حقيقية فإنها إضافات ليس غير ، واستدل على كلامه فى ذلك بأدلة كثيرة لا مجالَ لذكرها هنا .

(١) سورة الرحمن آية ٢٧

(٢) سورة الأنعام آية ٥٢

(٣) سورة القصص آية ٨٨

الرازي
وآيات الصفات
وأحاديثها

٢ — وقال فخر الدين الرازي في كتابه « أساس
التقديس » : واعلم أن نصوص القرآن لا يمكن إجراؤها
على ظاهرها لوجوه : الأول أن ظاهر قوله تعالى :
« وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ^(١) » يقتضي أن يكون موسى عليه
السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها مستعليماً عليها وذلك
لا يقوله عاقل ، والثاني أن قوله تعالى : « وَاصْنَعِ الْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا ^(٢) » يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك
العين ، والثالث أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح
فثبت أنه لا بد من المصير إلى التأويل ، وذلك هو أن
تُحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة .

٣ — قال الإمام الغزالي في الجزء الأول من كتابه
« إحياء علوم الدين » عند كلامه على نسبة العلم
الظاهر إلى الباطن وأقسام ما يتأتى فيه الظهور والبطون ،
والتأويل وغير التأويل : القسم الثالث أن يكون الشيء
بحيث لو ذكر صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضرر ، ولكن
يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ؛ ليكون وقعه
في قلب المستمع أغلب . . . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :

الغزالي
وآيات الصفات
وأحاديثها

(١) سورة طه آية ٣٩

(٢) سورة هود آية ٣٧

« إِنَّ الْمَسْجِدَ لَيَنْزَوِي ^(١) مِنَ النَّخَامَةِ كَمَا تَنْزَوِي الْجِلْدَةُ عَلَى النَّارِ ». ومعناه أن روح المسجد وكونه معظمًا ، وروح النخامة فيه تحقيرٌ له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لا اتصال أجزاء الجلد . وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض من نخامة ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قِبَلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ » ^(٢) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ، ولكن من حيث المعنى هو كأنَّ ؛ إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته ، وهى البلادة والحمق ، وَمَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ قِبَلَ الْإِمَامِ فَقَدْ صَارَ رَأْسُهُ رَأْسَ الْحِمَارِ فى معنى البلادة والحمق ، وهو المقصود دون الشكل . وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلي أو شرعي . أما العقلي

(١) قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمَسْجِدَ لَيَنْزَوِي » أى لينقبض . قال الزيدى فى شرح الإحياء : قال العراقى : هذا لم أر له أصلاً فى المرفوع وإنما هو من قول أبى هريرة ورواه ابن أبى شيبه فى مصنفه . قلت : ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفاً على أبى هريرة ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة فى المسجد فى القبلة فقال : « مَا بَالُ أَحَدِكُمْ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَنْخَعُ أَمَامَهُ ! أَيُّبَ أَحَدِكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ فَيَنْخَعُ فى وجهه ؟ » .

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة .

فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « قلبُ المؤمنِ بين إصبعين من أصابع الرحمن^(١) » إذ لو فُتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع ، فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سرُّ الأصابع ورُوحُها الخفي ، وكنتى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً في تفهم تمام الاقتدار .

وقد تعرض لمثل هذا الكلام في موضع آخر من هذا البحث ، وفيما ذكرناه كفاية .

إلى هنا وضع أمامك طريقاً السلف والخلف ؛ وقد كان هذان الطريقان مثارَ خلافٍ شديدٍ بين علماء الكلام من أئمة المسلمين ، وأخذ كلُّ يدعُم مذهبَه بالحجج والأدلة ، ولو بحثت الأمرَ لعلمتَ أن مسافة الخلف بين الطريقين لا تحتملُ شيئاً من هذا لو ترك أهلُ كلِّ منهما التطرفَ والغلوَ ، وأن البحثَ في مثل هذا الشأن ، مهما طال فيه القولُ ، لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجة واحدة ، هي التفويضُ لله تبارك وتعالى ، وذلك ما سنفصله لك إن شاء الله تعالى .

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

بين السلف والخلف

بين السلف
والخلف

قد علمت أن مذهب السلف في الآيات والأحاديث التي تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى أن يُمرَّرها على ما جاءت عليه ، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها ، وأن مذهب الخلف أن يؤوّلوها بما يتفق مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه ، وعلمت أن الخلاف شديد بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنازع بالألقاب العصبية ؛ وبيان ذلك من عدة أوجه :

أولا : اتفق الفريقان على تنزيه الله تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه .

ثانيا : كلُّ منهما يقطع بأن المراد بالألفاظ هذه النصوص في حق الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرها التي وُضعت لها هذه الألفاظ في حق المخلوقات ، وذلك مترتب على اتفاقهما على نفي التشبيه .

ثالثا : كلُّ من الفريقين يعلم أن الألفاظ تُوضع للتعبير عما يجول في النفوس ، أو يقع تحت الحواس مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها ، وأن اللغات ، مهما اتسعت ، لا تحيط بما ليس لأهلها بحقائقه علم ، وحقائق ما يتعلق

بذاتِ الله تبارك وتعالى من هذا القبيل ، فاللغةُ أقصرُ من أن تواتينا بالألفاظِ التي تدلُّ على هذه الحقائق ، فالتحكُّمُ في تحديدِ المعاني بهذه الألفاظِ تغريرٌ .

وإذا تقرر هذا فقد اتفقَ السلفُ والخلفُ على أصل التأويلِ ، وانحصرَ الخلافُ بينهما في أنَّ الخلفَ زادوا تحديدَ المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورةُ التنزيهِ إلى ذلك حفظاً لعقائدِ العوامِ من شبهةِ التشبيهِ ، وهو خلافٌ لا يستحقُّ ضجةً ولا إعناتاً .

ترجيح
مذهب السلف

ونحن نعتقدُ أنَّ رأى السلفِ من السكوتِ وتقويضِ علمِ هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلمُ وأولى بالاتباعِ ، حسماً لمادةِ التأويلِ والتعطيلِ ؛ فإن كنتَ ممن أسعده الله بطمأنينةِ الإيمانِ ، وأثلجَ صدره ببردِ اليقينِ فلا تعدل به بديلاً ؛ ونعتقدُ إلى جانب هذا أنَّ تأويلاتِ الخلفِ لا توجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولا فسوقٍ ، ولا تستدعى هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيرهم قديماً وحديثاً ، وصدرُ الإسلامِ أوسعُ من هذا كله . وقد لجأ أشدُّ الناسِ تمسكاً برأى السلفِ ، رضوانُ الله عليهم ، إلى التأويلِ في عِدَّةِ مواطنٍ ، وهو الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رضى الله عنه ؛

من ذلك تأويله لحديث : « الحجر الأسود يمينُ الله في أرضه ^(١) » وقوله صلى الله عليه وسلم : « قلبُ المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ^(٢) » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إني لأجد نفسَ الرحمن من جانب اليمن ^(٣) » .

وقد رأيتُ للإمام النوويّ رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين مما لا يدعُ مجالاً للنزاع والجدال ولا سيما وقد قيد الخلفُ أنفسهم في التأويلِ بجوازه عقلاً وشرعاً ، بحيث لا يصطدمُ بأصلٍ من أصولِ الدين .

قال الرازيُّ في كتابه « أساسُ التقديس » : « ثم إن جوّزنا التأويلَ اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلاتِ على التفصيلِ ، وإن لم نجز التأويلَ فوضنا العلم بها إلى الله تعالى ، فهذا هو القانون الكليُّ المرجوعُ إليه في جميع المتشابهاتِ ، وبالله التوفيقُ » .

وخلاصةُ هذا البحثِ أن السلفَ والخلفَ قد اتفقا على أن المرادَ غيرُ الظاهرِ المتعارفِ بين الخلقِ ، وهو تأويلُ

(١) قال العراقي : رواه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

(٣) قال العراقي : رواه أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه :

« وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » ورجاله ثقات .

في الجملة ، واتفقا كذلك على أن كلَّ تأويلٍ يصطدمُ
بالأصولِ الشرعيةِ غيرُ جائزٍ ، فانحصرَ الخلافُ في تأويلِ
الأنفاظِ بما يجوزُ في الشرع ، وهو هينٌ كما ترى ، وأمرُ
لجأٍ إليه بعضُ السلفِ أنفسهم ، وأهمُّ ما يجبُ أن تتوجهَ
إليه همُّ المسلمينَ الآن توحيدُ الصفوفِ ، وجمعُ الكلمةِ
ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، واللهُ حسبنا ونعمَ الوكيلُ .

إلى هنا انتهت تلكَ الفصولُ التي حررها فضيلةُ الأستاذ
المؤلفِ رضي الله عنه وكنا نود أن يتابعَ فضيلتهُ الكتابةَ
بهذا الأسلوبِ الممتعِ النفيسِ حتى يواتينا بما رسمه في صدرِ
هذهِ الفصولِ ، فيحدثنا عن النبواتِ ، وعن الروحانياتِ ،
وعن السمعياتِ ، كما حدثنا عن الإلهياتِ ، ولكن هذا
قدَّرَ الله ولا رادَّ لقضائه .

رضوانه محمد رضوانه

فهرس العقائد

أفضيلة الامام الشريف الشيخ مسعود البنا

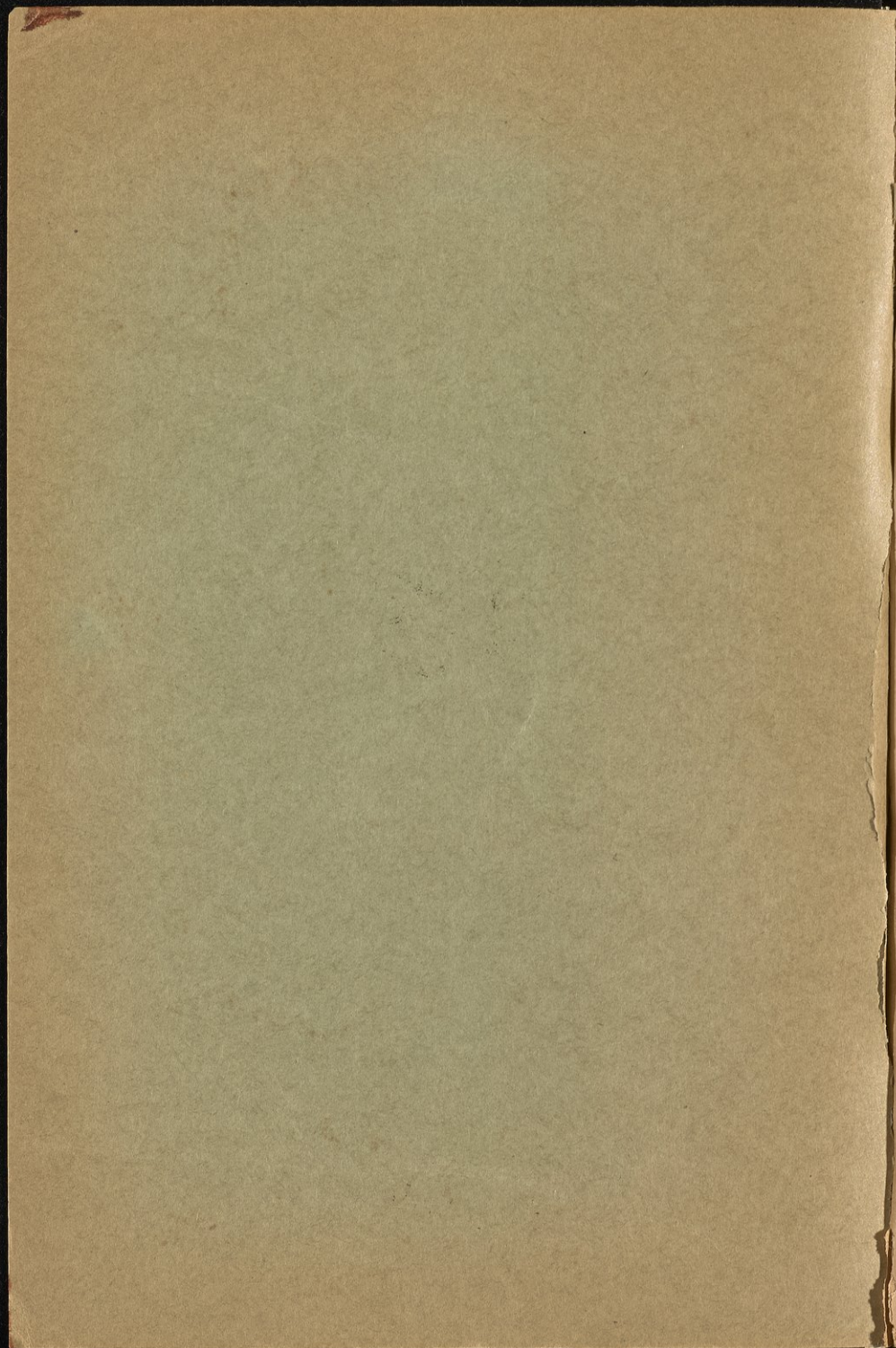
صفحة		صفحة	
٣٣	وجود الله تعالى	٣	تصدير
٣٤	قدم الله تعالى وبقاؤه		مقدمات
٣٥	مخالفة الله تعالى للحوادث	٧	تعريف العقائد
٣٦	قيام الله تعالى بنفسه	٧	درجات الاعتقاد
٣٦	وحدانية الله تعالى	٨	الناس أمام العقائد
٤٠	قدرة الله تعالى	٩	تقدير الإسلام للعقل
٤٢	إرادة الله تعالى	٩	العقائد وتأييد العقل لها
٤٣	علم الله تعالى	١٠	أقسام العقائد الإسلامية
٤٦	حياة الله تعالى		القسم الأول : الإلهيات
٤٧	سمع الله تعالى وبصره	١٣	ذات الله تبارك وتعالى
٤٨	كلام الله تعالى	١٤	التفكير في ذات الله تعالى
٤٨	صفات الله لا تنتهى	١٥	أسماء الله الحسنى
٤٨	بين صفات الله وصفات الخلق	١٧	بعض معاني أسماء الله تعالى
	الأدلة العقلية والمنطقية على إثبات		بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى
	صفات الله	١٩	الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين
٤٩	صفات الله والعقل	١٩	أسماء الله مجازية
٥٠	دفع الخواطر والوسوسة	٢١	التوقيف في أسماء الله تعالى وصفاته
	كلام الطبيعيين في إثبات وجود	٢١	العلمية والوصفية في أسماء الله ..
	الله صفاته	٢٢	خواص أسماء الله الحسنى
٥٢	الطبيعيون ووجود الله	٢٢	اسم الله الأعظم
٥٧	آيات الصفات وأحاديثها	٢٧	صفات الله تعالى في نظر العقل السليم
٥٨	من آيات الصفات	٢٨	غرائب الحوادث وعظمة الكون
٦٢	نماذج من أحاديث الصفات	٣٣	بجمل صفات الله في القرآن

صفحة

٦٨	 رأى الماجشون
٧٠	 الخلف وآيات الصفات وأحاديثها
٧١	 رأى ابن الجوزي
٧٢	 رأى الفخر الرازي
٧٢	 رأى الغزالي
٧٥	 بين السلف والخلف
٧٦	 ترجيح مذهب السلف

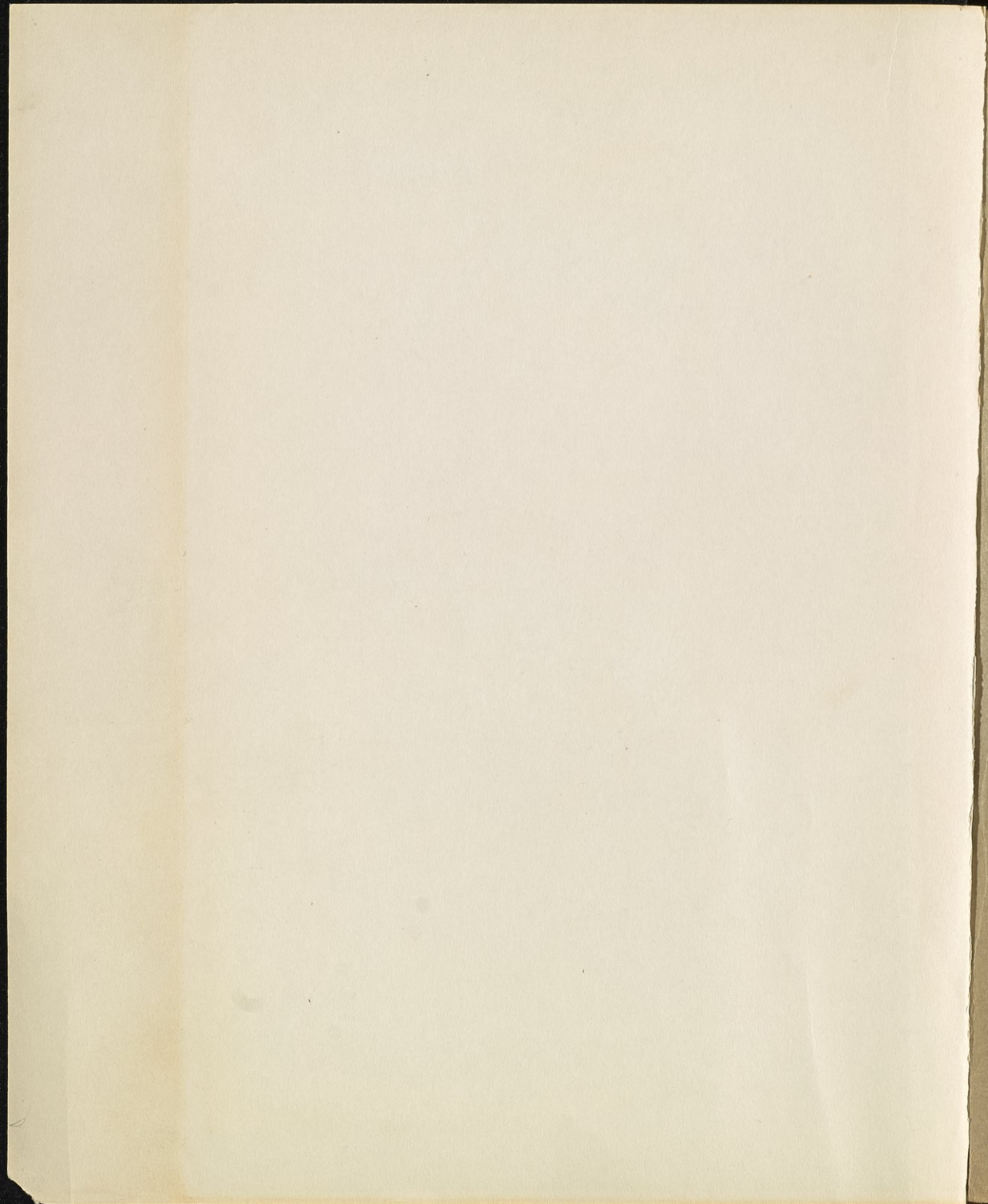
صفحة

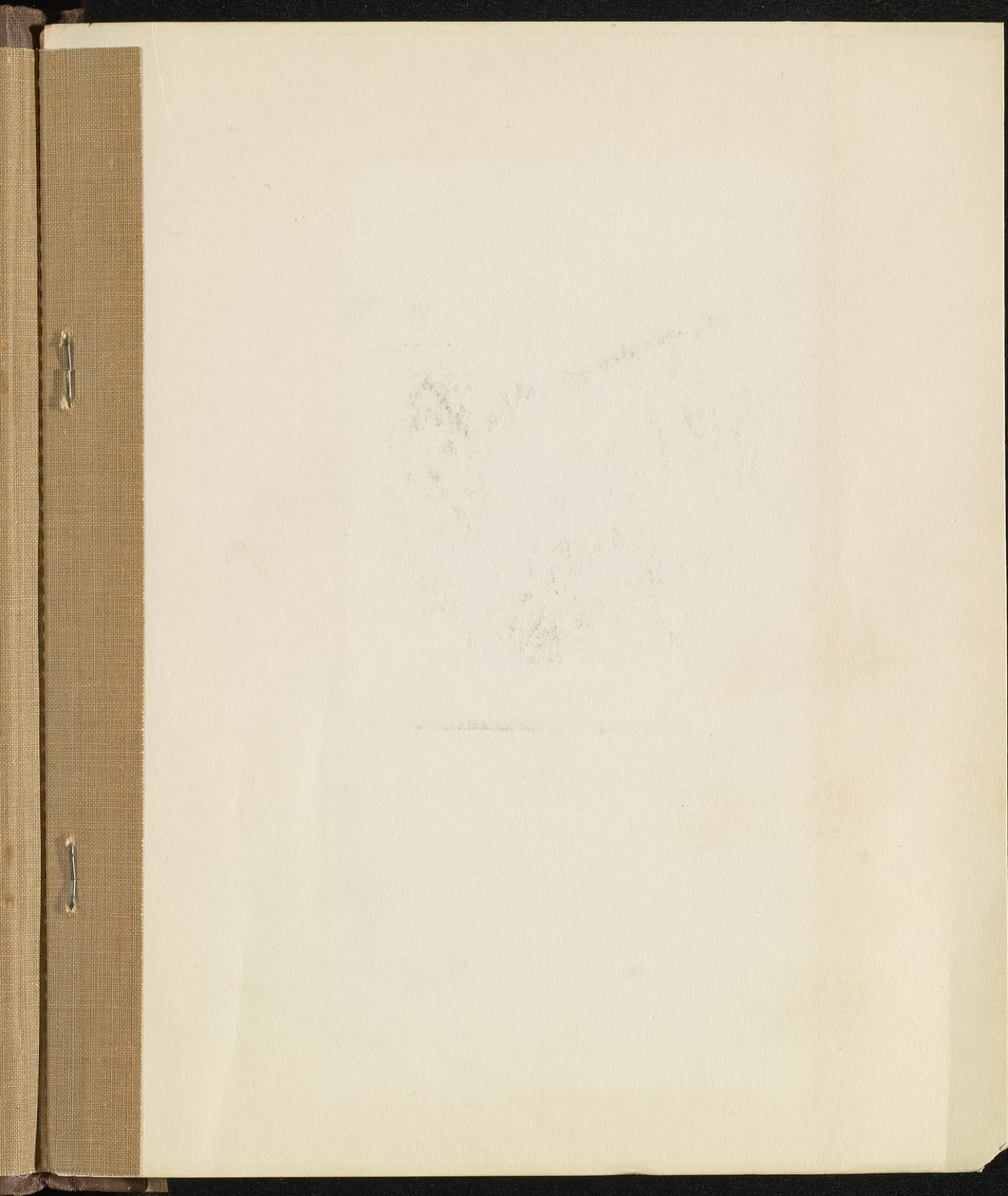
	المحسنة والمشبهة وآيات الصفات
٦٤	 وأحاديثها
٦٥	 المعطلة وآيات الصفات وأحاديثها
٦٦	 السف وآيات الصفات وأحاديثها
٦٦	 رأى الإمام محمد بن الحسن
٦٧	 رأى الإمام أحمد
٦٧	 رأى الإمام مالك





الثنى ١٠ قروش





893.796
H273

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58836640

893.796 H273

Aqaid, lil-imam al-s

RECAP

893.796 - H273